لماذا أزلت لحيتي؟

محمد نبيل كبها

لماذا أزلت لحيتي؟

"نسق"

فلسطين – نابلس – شارع تونس
بجانب مسجد أم سلمة

لماذا أزلت لحيتي؟

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كبها

الطبعة الأولى

٢٠٢٥م

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any from or by any means without prior permission in writing of the writer

جميع الحقوق محفوظة، يمنع ترجمة أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأيّة وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى، بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها لأغراض تجارية بدون إذن خطّي من المؤلّف.

إهداء

إن لم أكن في سجن فأنت سجني...

وإن أردت أن أخرج منك، فعلي كتابة رسالة أرسلها إليك، نصّها:
"وكيف أشفى منك وأنت مِنّي"...

إلي حبيبي.. كريم

المقدمة

أرسله الله تعالى هدية لي بعد عشرة سنوات من الإنتظار، فارضاً حضوره النوعي في ميداني، فكان على مسافة واحدة مني، ومني كان على مسافة واحدة منه.

هذا الصغير الذي أشعل الاشتباكات الفصائلية، والحروب الطائفية، والاختلافات الشرائعية، وهو بريء من كل هذه التفسّخات؟!

بأعينه البريئة حركني كما تحرك الآلة بالريموت عن بعد، فصنعت ما صنعت، وعندما انزلقت، كان هذا الصغير قد لخبط المعايير الثقافية، فأربك عقل الملحد، وخربش كتاب المسيحي، وكسر قلم المسلم، وهدم لبنة الشيوعي، ثم حضن الألوان كلها، ورفع راية الوحدة والرحمة والإنسانية غير عابئٍ بموتي!!

وكرسالة مائلة على جسدي، وماثلة على جسد الكوكب، رفع صوته عاليا في زمن لا يسمع فيه إلا الهمهمات، قائلاً: "لقد فعل أبي ذلك من أجلي".

قبل أن أبدأ..

لم أكتب هذا الكتاب بقصد الشهرة، أو الظهور، أو ادعاء العلم والدين والمعرفة والحكمة، أو بقصد التشهير -معاذ الله سبحانه- فما أنا إلا إنسان أسير بجبلة يتصارع على تربتها الخير والشر، والتي يواريها ستر الله سبحانه علي، وما أنا إلا كما قال الشاعر العراقي "أبو العتاهية":

إِلَهي لا تُعَذِّبني فَإِنّي ... مُقِرٌّ بِالَّذي قَد كانَ مِنّي

وَما لي حيلَةٌ إِلّا رَجائي ... وَعَفوُكَ إِن عَفَوتَ وَحُسنُ ظَنّي

فَكَم مِن زِلَّةٍ لي في البَرايا ... وَأَنتَ عَلَيَّ ذو فَضلٍ وَمَنِّ

إِذا فَكَّرتُ في نَدَمي عَلَيها ... عَضَضتُ أَنامِلي وَقَرَعتُ سِنّي

يَظُنُّ الناسُ بي خَيراً وَإِنّي ... لَشَرُّ الناسِ إِن لَم تَعفُ عَنّي

أُجَنُّ بِزَهرَةِ الدُنيا جُنوناً ... وَأُفني العُمرَ فيها بِالتَمَنّي

وَبَينَ يَدَيَّ مُحتَبَسٌ طَويلٌ ... كَأَنّي قَد دُعيتُ لَهُ كَأَنّي

وَلَو أَنّي صَدَقتُ الزُهدَ فيها ... قَلَبتُ لِأَهلِها ظَهرَ المِجَنِّ

إن الدافع من تشييدي لهذا الكتاب هو لأني وفي هذا الأسبوع تحديداً، والذي أزلت فيه لحيتي، تحولت الى مُتّهم!!

لماذا أزلت لحيتي؟!

وجّه لي فيضان من الإستفسارات من القريب والبعيد بشأن إزالتي لشعر لحيتي -عندما حلقت ذقني- قبل بضعت أيام، وكوني محاط بجسور من التنوع الفكري والأكاديمي والفلسفي، والتلون الثقافي والأدبي والقصصي، والإختلاف الطائفي والديني والعقدي، والإختصام السياسي والحزبي، فقد وجّهت لي أصابع الإتهام عندما أزلت لحيتي!!

فعلى الصعيد الطائفي قال لي أحدهم أثناء خروجي من المسجد: "يا شيخ محمد.. هل مازلت بعد على مسلك السنة والجماعة؟".

فسألته وقد انداحت الحيرة في رأسي: "لماذا تسأل يا عزيزي؟".

فرد علي ورائحة التخوين تفوح منه: "لأنك حلقت لحيتك؟!".

ابتسمت ابتسامة خفيفة: "وهل إزالتي للحيتي مرتبطة بهويتي المذهبية أو الطائفية؟".

فأجابني بنصف فمه: "طبعاً!!".

سألته: "في البداية.. عن أي مذهب تتحدث؟ إن كنت تتحدث عن المذاهب الأربعة، فعن أي منهم تقصد؟ لأن المذاهب الفقهية الأربعة -الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي- كل منهم له رأيه في مسألة إزالة اللّحية وحلقها؟".

فأجابني بارتعاد: "لا يهمني.. المهم أن حلق اللحية وإزالتها حرام شرعاً.. هكذا قال لنا المشايخ -حفظهم الله- من أهل السنة والجماعة في الخطب والدروس".

دنوت منه وقلت له: "هل تعلم نحن في فلسطين على أي مذهب نسير؟".

انفغر فاه بكلمات متتالية لم أفهم منها شيء: "إحنا.... إحنا على المذهب.....إحنا على...ممكن"، ثم أخذ يفرك بلحيته، ويطوف بنظره باحثاً عن نجاته من قبس المحنة.

قابلته بنظرات فاحصة وقلت له: "الحنفية -نسبة إلى الإمام أبو حنيفة النعمان- والمالكية -نسبة إلى الإمام مالك بن أنس- والحنابلة -نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل- يرون أن حلق اللحية حرام شرعاً، أما الشافعية -نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي- يرون أن حلقها مكروه.. هل كنت تعرف ذلك؟".

زحف الصمت على فم السائل، وأرهف سمعه لي.

ثم تابعت: "هل كنت تعلم أن غالبيّة المسلمين في فلسطين يتبعون المذهب الشافعي، وأنه التيار الرئيسي في الفقه الإسلامي بين الفلسطينيين! هل تعلم أساساً أن الامام الشافعي والذي هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، والإمام في علم التفسير وعلم الحديث هو من مدينة غزة؟! إن كنت لا تعلم فأحب أن أزف لك هذه المعلومة، وهو أن الإمام الشافعي -رحمه الله- هو فلسطيني ومن مدينة غزة".

عقد الصمت لسان هذا الكهل، وكأن القطة أكلته.

أردفت أقول له: (يجوز للمسلم في الأحكام الشرعية أن يختار من المذاهب الأربعة "الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية"، ولكن هناك توضيح مهم في هذا الإنتخاب، فمثلا اختلفت آراء الفقهاء في المذهبين الشافعي والمالكي حول تربية الكلاب، فالشافعي يرى أن الكلب نجساً في ذاته، بينما يرى المالكية أن الكلب ليس نجساً في عينه، ويرى الشافعية أنه يجوز اقتناء الكلب في حالات محددة فقط، كالزراعة، والصيد، وحراسة الماشية، ولا يجوز اتخاذه لغير هذه الأغراض، بينما يرى المالكية أن اقتناء الكلاب لأي غرض مباح).

ثم ختمت حديثي معه: "الأفضل للمسلم أن يلتزم بمذهب واحد في الغالب إن لم يكن صاحب علم ودراية، لكن ليس هناك إلزام باتباع مذهب معين، ويمكن الأخذ بقول مذهب آخر في بعض المسائل إذا ظهر لأحدهم قوة الدليل ورجاحته أو كانت فيه مصلحة، ولكن بشرط هام، وهو أن لا يكون ذلك اتباعاً للهوى والرخص، وانما عن علم ودراية، وهكذا أفعل أنا العبد الفقير الى الله سبحانه، فما من مسألة إلا وأضعها على منضدة التشريح والتنقيب، فأعرضها على القرآن أولا، ثم على المذاهب الأربعة، وآخذ بالدليل الأقوى علميّاً والأقرب الى عقلي، باستثناء العقيدة والأمور المتعلقة بها وبالغيب، فهي قضايا إيمانية، لا مكان ولا دور للعلم فيها".

اغبر وجه هذا الكهل، وانسلت قدماه الى الريح..

كان هذا بـ "يوم عاشوراء"، وهو اليوم الذي قُتل فيه الإمام الحسين بن علي في معركة كربلاء، وحيث يعتبر هذا اليوم هو يوم عزاء وحزن لدى المسلمين الشيعة، إلا أن جزءً كبيراً مني هو حسيني، وكيف لا وقد اختصه رسولنا وحبيبنا المصطفى -صلى الله عليه وسلم- بمحبته، فقال: "حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً"، ولا أخفيكم أنني حينما قرأت سيرة حفيد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وابن ابنته ومحبوبته فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- وخصوصاً عندما تطرقت لحادثة مقتله البشعة في يوم عاشوراء، دخلني من الحزن ما اكتوى به فؤادي!!

فنثرت أبيات الشعر هذه على أرضية الفيسبوك:

تــأوه قلبــي والفــؤاد كئيــب **وأرق نومـي فالسهاد عجيــب
فمن مبلـغ عنـي الحسيـن رسالــة **وإن كرِهَتهـا أنفــس وقلــوب
ذبـيـح بـلا جـرم، كـأن قـميصــه **صبيغ بمـاء الأرجـوان خضـيب
فللــسيــف أغـوال وللرمــح رنــة **وللخيل من بعد الصهيل نحـيب
تـزلـزلـت الــدنيـا لآل مــحــمــد **وكادت لهم صم الجبــال تـذوب
وغارت نجومٌ واقشعرت كـواكـب **وهتك أستــار، وشــق جيــوب
يصلى على المبعوث من آل هاشم **ويغزى بنــوه!إن ذا لعجيـب
لئن كان ذنبـي حــب آل مــحـمــد **فذلك الذنب لست عنه أتــوب
هم شفعائي يوم حشـري ومــوقفي **إذا مابدت للناظــرين خطــوب

ثم علّقت عقبها على صفحتي: "سيبقى الحسينُ فينا صرخةً لا تخفت، وروحاً لا تموت، ورايةً لا تنكسر".

فبعث لي أحدهم برسالة نصية مفادها: "شيخ محمد... إن نفراً من الناس يتحدثون أنّك تشيّع -بمعني أن فيك تشيّع- وأنا أراك كذلك؟!".

رددتُ على سُؤاله وأنا لا أعلم سُجف الغيب، ولكني توقعت أن يكون سؤاله من باب نثري رثاءً للإمام الحسين بن علي -رضي الله عنهما- على صفحتي في الفيسبوك: "عرّف لي ما هو التشيّع؟".

فأجابني: "هم كفّار!!".

فقلت له موضحاً: "أما بالنسبة للشيعة، فهي فرقة إسلامية تتبع المذهب الشيعي، ويعتقدون بأن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- قد أوصى بالخلافة والإمامة من بعده لابن عمه علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- ومن ثم لأبنائه الأئمة الاثني عشر، بخلاف أهل السنة الذين يرون أن الخلافة كانت لأبو بكر الصديق -ضي الله عنه- كأول الخلفاء، وكانت شورى بين الصحابة، كما ويعتقد الشيعة أن الإمامة منصب إلهي، وأن الأئمة هم ورثة النبي في العلم والحكمة، ومعصومون من الخطأ".

وأردفت: (والمدارس الشيعية تنقسم الى رايات عديدة، أولها: "الإمامية"، والتي يتفرع منها "الاثنا عشرية الأصولية"، والإثنا عشرية "الإخبارية"، والإثنا عشرية "الشيخية"، وثانياً: "العلويّون"، وثالثاً: "الزّيديّة"، ورابعاً: "الإسماعيليّة"، والتي تنقسم الى "الدروز"، و"النزارية - الأغاخانية"، و"المستعلية - البهرة"، وهناك طوائف كثيرة منهم قد انقرضت، كالحشاشون،

الكايسانية، القرامطة، السبعية، الجارودية، السمطية، الواقفية، المختارية، الخطابية، وغيرها الكثير).

ثم ختمت أقول: "لا.. أنا لست شيعيّاً يا أخي، ولا أنتوي أن أكون شيعيّاً".

فقاطعني وقد أخذته العاطفة: "ولماذا نثرت هذه الأبيات إذن؟!"

فأجبته من ستري الرقيق: "لأني أذوب في الحسين وآل البيت، وأما بالنسبة لأبيات الشعر فهي للإمام الشافعي رحمه الله، فهل كنت تعرف أنها له؟! الإمام محمد بن إدريس الشافعي هو من أئمة أهل السنة والجماعة، وهو مؤسس المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، وهو أحد المذاهب الأربعة الرئيسية لدينا في الفقه السني، ولكنه كان يحب الحسين، وأنشد له هذه الأبيات من حبه وحزنه عليه".

فأرسل بعبارت يتخللها الشك: "الامام الشافعي قال هذا؟! أمتأكد مِمّا تقول؟!".

فعاودته بأخرى يملؤها اليقين: "بل ولقد قال أكثر من ذلك".

فبعث لي يسأل: "مثل ماذا؟".

فكتبت له: "إذا في مجلس ذكروا عَليّاً وسبطيه وفاطمة الزكيّة، فأجرى قوم ذكرى سواهما، فاعلم أنه لسلقلقيّا.. إذا ذكروا عَليّاً وبنيه قالوا تجاوزا يا قوم هذا، فهذا من حديث الرافضيّة.. برئت الى المهيمن من أناس، يرون الرّفض حب الفاطميّ.. على آل محمد صلاة ربي، ولعنته لتلك الجاهلية".

ثم قلت له: "أتعلم من قال هذه الكلمات؟".

فقال لي ببرود: "كلّا".

فقلت له: "الامام الشافعي رحمه الله".

فقابلني بتعجّب: "معقول!!".

فقلت له: "نعم.. ويمكنك التأكد".

حاول أن ينهي الحوار، فبعثت له: (قبل أن تغلق المحادثة، هل تعلم معنى قول الإمام الشافعي "لسلقلقيّا"؟).

فرد علي بكلمات شفيفة: "كلّا.. لا أعلم ما المقصود من ورائها؟".

فأجبته: "هي المرأة التي تلد من دبرها".

كاد أن يقطع هذا السائل المحادثة، ولكني رميت له: (ان التعبير هنا من باب الميتافور "Metaphore"، فلا يوجد إمرأة تلد من دبرها، ولكنها لوصف حالة غير طبيعية، والغير طبيعي هنا هو سؤال: "لماذا لا يحب مشايخ وعلماء السنة الحديث عن علي؟! لماذا تُعرضون عن الحديث عنه وعن الحسن والحسين وعن آل البيت؟!").

ثم لفحته بهذه الكلمات: "إن حالي كحال الإمام الشافعي، وحالنا كحال كل من يحب عليّاً وبنيه وآل البيت -رضي الله عنهم جميعا- وإن كان المقصود من التشيّع هو حب آل رسول الله فأنا أول المتشيعين، ولا يعنيني كل العالمين".

هرب هذا السائل من الحديث عن التشيّع، وقفز الى لحيتي المخلوعة يسألني بارتياب: "انتبه إليك أحدهم أنك دون ذقن، لماذا أزلت لحيتك؟!".

فأجبته بفم مملوء: (حسب المذهب الشيعي الذي أمسكت عنه في ذيل الحوار، فعلماء وفقهاء الشيعة ومنهم السيد "مُحَمَّد صَادِق الصَدْر"، والسيد "علي بن محمّد السيسْتانيّ"، أفتوا بعدم جواز حلق اللحية إطلاقاً، لا يهم على أي نمرة أو درجة كانت، المهم أن لا يكون العارضيْن خاليَيْن من الشعر بتاتاً، وهذا يؤكد على أنني لست شيعيّاً، أما بالنسبة لجمهور علماء السنة فلقد أكدوا أيضاً تحريم حلق اللحية، واستدلوا بأحاديث نبوية تأمر بإعفاء اللحية ومخالفة المشركين في ذلك، كحديث ابن عمر رضي الله عنهما: "خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى"، واستدلوا بما ورد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الأحاديث الصحيحة من صيغ متعددة لترك اللحى، ومنها قال عليه الصلاة والسلام: "أرخوا اللحى"، وفي رواية "وفّروا اللحى"، وفي رواية "أعفوا اللحى"، لذلك أخرجوا هذه المسألة مخرج الوجوب، وأسقطوا من أزال لحيته في الإثم، إلا عند الشافعية، الذين فتشوا في المسألة وأسقطوا الأمر فيها من باب الندب وليس الوجوب، وأدرجوها تحت المكروه وليس الحرام، ووزارة الأوقاف الفلسطينية تعتمد المذهب الشافعي، وهو المذهب الفقهي السائد بين المسلمين الفلسطينيين، ومعنى ذلك أنني وكل من أزال لحيته في حكم المكروه وليس الحرام، إلا إذا أردت اتهامي أنا وكل المسلمين في فلسطين بالحرمة، فستبوء بإثمي وإثمهم جميعاً).

ما أن انتهى السائل من قراءة السطر الأخير الذي أرسلته حتى غادر صفحتي، وانطلقت بدوري لكي أقابل أحد الأساتذة البارزين في الوسط العلمي الفلسطيني، والذي أرسل لي دعوة لكي يتبادل معي آخر ما انتهى اليه بحثي من أفكار في السيميائيات، وعلى ما أعتقد أنه المصطلحَ الأنسَب والأمثل لعلم دراسة العلامات والرموز، وكيفية إنتاجها للمعنى، البورسيين يفضلون مصطلح " السيميوطيقا" عِوضاً عن السيميائيات، والسويسريين يحبون تسميته بـ"السيميولوجيا" بدلا عن السيميائيات، والذي صك مصطلح "السيميائيات" هو عالم

المنطق والرياضيات والفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس"، في نهاية القرن التاسع عشر، ولقد أشار العالم اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير" والمتخصص في اللّسانيات إلى هذا المجال في كتابه: "Cours de linguistique générale" عام ١٩١٦م، لكنه استخدم مصطلح "السيميولوجيا" للدلالة على دراسة العلامات، أما من ناحية التأصيل الموضوعي؛ فتراثنا العربي حافلٌ بالأفكار التي تحوم حول هذا العلم.

فلقد قدم فيه ابن العربي، والجاحظ، والجرجاني وغيرهم الكثير، حيث يقول ابن عربي في علم السيمياء أنه مشتق من السمة، وهي العلامة، أي علم العلامات التي نصبت على ما تعطيه من الإنفعالات من جمع حروف وتركيب أسماء وكلمات، لذلك لدينا في تراثنا نحن العرب حق في صك مصطلح السيميائيات.

عندما وصلت وجهتي، ودخلت الى مكتب الأستاذ، كانت عيناه مشدودتان نحو وجهي، وبدلا من أن نتحدث عن السيميائيات، أخذ الحديث منعطفاً حادّاً حول لحيتي، فقال لي: (شو هالتغيير المفاجئ!! بتعرف هيك أحلى بمليون مرّة! يا زلمة.. إنت كنت دافن حالك بهاللحية، شوف وجهك كيف بيّن.. بس شو سر هالتغيير؟! شكلها الدخليّة -زوجتك- ما عجبها، وقالتلك: "يا أنا يا هاللحية بالدار") وأخذ يضحك ملئ شدقيه، ثم ربت على كتفي وقال: "عمرو ما كان الدين باللحية، الدين بالقلب مش بالشكل يا مفكرنا" .

تبادلنا السؤال بعدها عن أحوالنا وما انتهينا اليه من أبحاثنا، حتى أعلنت الساعة انتهاء الدوام الرسمي، فحملت بعضي وغادرت متجها الى المنزل.

في الطريق صادفت احدى الزملاء المسيحيين، والذي كان يعمل في احدى المؤسسات الحكومية التي تتشارك معها مؤسستنا، وعندما رآني أخذ يتأمل وجنتي، ثم ابتسم في وجهي ابتسامة هادئة ومسالمة، وسألني وأعينه مصوبة نحو خدّاي: "قرأت العهد الجديد اللي أعطيتك اياه الشهر الماضي؟".

فأجبته: "صحيح".

فقال لي: "ايش رأيك؟!".

فقلت له: "كويس.. ولكن هو عبارة عن أحاديث وروايات".

فرد علي: "صحيح.. وهذا الحلو فيه".

فقلت له: "ولكنه يفتقر الى الاعجاز اللغوي والتحقيق العلمي".

فقال لي: "الأسهل أقرب دايماً وأوضح".

ثم سألني بتردد: "شكلك غيرت من حالك وحلقت اللحية!".

فجاوبته: "صحيح".

فقال لي على سبيل المُزاح:" هيك أحلى.. ويالله بلكي جِبناك لعِنّا وصرت مسيحي".

وتمتم في سره، وطبع قبلة على خدي ورحل.

أكملت وجهتي نحو مجمع الباصات، ركبنا الطريق، كان على يميني شاب يافع لم يتجاوز الثلاثين ربيعاً، يجلس مُباعدا بين رجليه، وكان يصوّب نظره نحوي بين الفينة والفينة، ظل صامتا للحظات، ثم هز بكتفه كتف صديقه الذي يجلس مُلاصقاً له من الجهة الأخرى، وانحنى بكتفه ثم همس في أذنه: "مش هادا الشيخ اللي خطب فينا الجمعة مرّة بالجامع؟"، مدّ صديقه برقبته نحوي ليسرق نظرة، ثم عاد بجذعه وهمس لصديقه السائل: "مش عارف.. بس شكلو هوّة!"، فردّ الأخير عليه: "يا زلمة هوّة.. بس حالق لحيتو.. أبصر ليش حلقها؟ شكلو ألحد هههههه"، ثم أخذا يتبادلان خبث السريرة.

وصلنا نهاية المسار، ارتجلت من الباص، وأكملت طريقي سيراً على الأقدام حتى وصلت الى المنزل، تناولت وجبة الغداء، ثم ألقيت بجسدي على السرير لتحلق روحي وتتحرر من أثقال هذا العالم المادي، حتى تلقيت اتصالاً يثير الوعي من أحد المثقفين، حيث عبّر عن رغبته في زيارتي بعد عكوفه على بعض أعمالي والمفاهيم التي أدعوا اليها في تجديد الخطاب الإسلامي، وأخبرني أن برفقة بعض أصحابه، فرحبت به: "أهلا وسهلا".

عندما حضر كان برفقته أعضاء جماعة التبليغ والدعوة، والذين يعرفون ب"رجال الدعوة"، وهي جماعة دعوية عالمية أسسها "محمد إلياس الكاندهلوي" في الهند، تضم مشايخ وعلماء بارزين مثل "محمد عبد الفتاح أبو إدريس"، و"محمد إسماعيل المقدم"، و"ياسر برهامي"، وهي تهتم بنشرعقيدة التوحيد والسنة النبوية فقط، دون التطرق الى أحوال الناس عامة، أو ما يجري في البلاد من حروب ومجازر ودماء، كما أنها تعلّق كل ما يختص بالمسائل السياسيّة وتُعرض عنها.

منهم من كان على معرفة بي من بعيد عبر انتقالهم بين فصول كتبي، ومنهم لا، جلسنا في غرفة الضيافة، وبدلا من أن يكون الحديث عن حيوية تجديد الخطاب الإسلامي، وتقديم فهم عصري للإسلام يتوافق مع متطلبات العصر، ويُعزز القيم الإنسانية من سلام وتسامح وتقبل وتقدم، مع الحفاظ على ثوابت الدين ومبادئه، راح الحديث منحنى آخر، وهو إزالتي لشعر لحيتي!؟ حيث أطلق أحد رجال الدعوة من الحاضرين المواعظ على عوانها، لأنه كان على علم بإطلاقي للّحية، فشعر بالإمتعاض عندما شاهدني بدونها، واشتغلت حنجرته بإصدار

الفتاوي في وجوب إعفائي للحيتي، ثم راح يغرس الأحاديث الصحيحة التي تتناول باب ارخاء اللحى في رأسي حتى صُدعت، وبعد أن انتهى من مواعظه الزئبقية سألته وقد أصخت السمع له حتى انتهى: "أين أنتم عن ستيفن هوكينغ، ريتشارد دوكينز، تشارلز داروين، لويس دي برولي، سفانتي أرينيوس، تشاندراسيخار، بول بوير، فردريك جوليو-كوري، هارولد كروتو، جورج أولاه، لينوس باولنغ، مايكل سميث، جوريس ألفيروف، سوبرامانيان تشاندراشيكار، ألبرت أينشتاين، فيتالي غينزبورغ، كونستانتين نوفوسيلوف، تشين يانج، أندرو هكسلي، كريستيان دو دوف، جيمس واتسون.. أين أنتم من كل هؤلاء؟".

راح رجل الدعوة يَغُثُّوا قَائِلًا: "أنا مش عارف هاي الأسامي اللَّي سميتها؟ بس شو علاقتي فيهم؟! وشو علاقة الدعوة فيهم؟ ومالنا ومالهم بعدين! إحنا ننشغل بأنفسنا وكفى".

فأجبته بحنجرة مستعرة: (مالنا ومالهم!! مهمّي حاطين حالهم ومالهم وإيدهم فينا!! هدول أكبر علماء في الفيزياء، والكيمياء، وفي علم وظائف الأعضاء والأعصاب، وفي الطب، ومعظمهم "Atheist" و "Agnostic"، ونلقّن المواد التعليمية والأكاديمية والجامعية على أيديهم غصب عنّا! وندرّس نظرياتهم على يد ملحدين ولادينيين ولاأدريّين من أساتذة عرب ومسلمين ومسيحيين من أبناء جلدتنا وإسلامنا! وجاي تحكيلي مالنا ومالهم؟! يا شيخ.. الجيل بلحد بربنا لإنو فش خطاب إسلامي حقيقي يعيد هذا الجيل التائه والحائر والضائع الى حظيرة الايمان بالله سبحانه مرّة أخرى؟!).

هتف رجل الدعوة بصوت خفيض جِدًّا: "هذا مش دوري أنا، ولا دورنا كمشايخ ورجال دعوة، ومش من ضمن خطابنا إنو نرد عليهم، وفي ناس متخصصين للرد على هاي المسائل العلميّة".

هززت رأسي بالامتعاض: "عشان هيك أعطو الخبز لخبازه.. وخلو المفكرين من العلماء والفلاسفة المسلمين يشتغلوا بالرد على هاي الفئة الخطيرة اللي بتشتغل على أولادنا وعلينا انها تبعدنا عن ربنا بالعلم، وخلينا نحكي بموضوع أفضل من لحيتي وليش حلقتها!!".

فأجابني بالسخط: "خلينا أصحاب أحسن"، واستأذنوا بالمغادرة لأداء صلاة العشاء.

أديت صلاتي في البيت، وعند حلول وقت النوم، انثنيت على سريري، ورحت أفكر كيف يسير العالم هنا؟! لهاث الناس الغير طبيعي خلف لحيتي التي أزلتها، ملقين بي بسببها تحت ساقية الحزب والطائفة والفرقة والاشخاص والجماعات، أو خلعي منهم فقط لمجرّد أني أطلقتها أو حلقتها!!

انبلج الصبح ونوره، أخذت حماماً ينشط النفس المتعبة، اكتسيت بالثياب الفضفاضة، وارتديت

نعلي المدببة، ثم ركبت الطريق الى العمل.

عندما وصلت اتجهت نحو ساعة العمل لكي أوثق حضوري، كان الزملاء يصطفون خلفها، وعندما لفّوا برؤوسهم نحوي أخذوا يتفحصون وجهي، لم ألقي بالاً، وبعد مضي نصف ساعة من الدوام هاتفتني احدى الزميلات -وهي لادينية الإعتقاد- ولكنها تَكن لي احتراماً واسعاً، فدعتني لاحتساء كوب من القهوة بصحبتها، فلبيتها، لأني أبادلها هذا الإحترام رغم المسافات الفلكية في الرأي والتفكير بيني وبينها.

أثناء ارتشافي للقهوة لمزتني بعينها وقالت لي: "آن الأوان يا محمد أن تلغي كلمة -مفكر إسلامي- وأن تقتصر فقط على كلمة -مفكر- دون إسلامي".

سرحت في عبارتها الواقفة، وتوقفت بيني وبين نفسي: "لماذا أحكام الناس غير مُعللة منطقيّاً وغير معقولة المعنى؟!".

سألتها بحذر: "ما المقصد الذي تتجارى اليها هذه الكلمات يا فلانة؟ ولماذا علي اخضاع كلمة -إسلامي- للإعدام المعنوي والوجودي؟!".

فأجابتني إجابة محايثة: "لأنك أزلت لحيتك.. وهذا هو عين العقل والصواب، فلماذا تختزل نفسك بإسلامي وكأنك تريد التمييز وإقصاء الآخر! لماذا لا تختار تعريفاً أو صفة تشمل الجميع في كنفها؟!".

ثم مدّت بساط بصرها الى وجنتي وقالت بفم لعوب: "اعتنق الإنسانية، ثم اعتنق ما شئت من الأديان".

رددت على حجتها بحجة مبلّلة بالفُهوم المتعددة: (ألا تعلمين أن هناك "مفكرين مسيحيّين" أمثال "سورين كيركغو، بليز باسكال، القديس أوغسطين، إسحاق نيوتن، جورج فيلهلم فريدريش هيغل، القديس توما الأكويني.. وغيرهم الكثير"، كما أن هناك "مفكرين يهود" أمثال "سبينوزا، إيمانويل ليفيناس، سيغموند فرويد، كارل ماركس"، كما أن هناك "مفكرين ملحدين" أمثال "فريدريك نيتشه، جان بول سارتر، لودفيغ فيورباخ"، ومنهم العرب أيضا أمثال المفكر المصري "إسماعيل أدهم"، والمفكر العراقي "جميل صدقي الزهاوي"، والمفكر السعودي "عبد الله القصيمي"، وهناك أيضاً المفكرين الإسلاميين أمثال " الكندي، ابن رشد، الفارابي، ابن سينا" وهم من العصور القديمة، أما من العصور الحديثة فهناك المفكر الهندي "أبو الأعلى المودودي"، والمفكر العراقي "أحمد خيري العمري"، والمفكر السوري "أبو مصعب السوري"، والمفكر المصري "أحمد شوقي الفنجري"، وغيرهم الكثير.. فلماذا علي أن أميّع نفسي بتمييعي لصفتي، وغيري يتفاخر بأنه مفكر ملحد، أمثال الفيلسوف الملحد فريدريك

نيتشه؟! ومفكراً لادينيّاً كعالم سلوك الحيوان البريطاني ريتشارد دوكنز؟! ومفكراً لاأدريّا كعالم الفيزياء الشهير ألبرت أينشتاين؟! لماذا؟! وهل يتطلب كي أكسب الجميع أن أخسر نفسي وهويتي؟! فضلا على أن خيبتي الكبرى هي خسارتي لربي؟! ولا يعني أن أكون مفكراً إسلاميّاً أني سأخلع أظافر المثالية أو البراغماتية أو الواقعية أو الوضعية أو الشكية أو الوجودية أو الميتافيزيقة؟ كما أنه لا يعني أن أكون مفكراً إسلاميّاً أني سأعمل على انتزاع أسنان أصحاب النظام الاعتقادي "Belief system" أو الرؤية الكونية "Worldview" أو أصحاب النظرة الشيوعية "Communis" والتي تفتقر إلى وجود الله في تفسيرها للعالم، بل على العكس، نحن نسعى الى لعب دوراً هاماً في خلق الوعي والفكر المستنير في مجتمعنا، لا يتلون بلون فلسفي أو اعتقادي أو علمي وحيد، ولا ينغلق في دائرة فكرية أو ثقافية محددة، ونحن هنا لا لنعمّق الوصمة، بل لنمدّ جسور الفهم والتقبل في زمن يحتاج فيه الوطن إلى كل قلم واعٍ، ولكن يجب أن أكون واضحاً بين نفسي وبين ربي، وهو أن النواة التي أنطلق منها هي "لا إلَه إلا الله، محمد رسول الله"، وهذا عن علم، فكما قال ربي جل في علاه: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"، لذلك أنا أصر على وصفي بكلمة -إسلامي- قبل كلمة -مفكر- لأنها الكلمة التي لا تنضب، والتي نتجاوز بها كل الأطر المادية والوضعية نحو الإنسانية، فالإسلام هو الإنسانية، ولقد اختصر رسولي وحبيبي وقدوتي الحب والرحمة والإنسانية والأخلاقية في عبارة واحدة، عندما قال صلى الله عليه وسلم: "لا تؤذوني في عائشة"، لذلك على الفطين أن يعتنق الإسلام ليعتنق الإنسانية، وفي النهاية: "لكم دينكم ولي ديني").

انتهيت من احتسائي لفنجان القهوة برفقتها، ثم التمست اذنها بالعودة الى مكتبي، وفي طريقي للمكتب التقت عيون بعض الزملاء فيّ، والذين لم يصدّقوا أنني أنا هو هو نفسه! حتى أن احدى الزميلات والتي تؤمن بال "Feminist" وتنتمي للحركة النسوية الفلسطينية، سرّها رؤيتي دون لحية! وكانت ولأول مرّة منذ خمسة سنوات عمل معهم تبتسم في وجهي!

أثناء هبوطي على الدرج استوقفوني نفر من الزملاء، وتبادلوا معي أطراف الحديث، لكن عيونهم واظبت التحديق في وجهي، مستنكرين إزالتي للحيتي، وبعضهم كانت عيونهم صامتة وكأنها تلومني على هذا الجرم الذي لا يغتفر.

حتى في مكتبي وخلال ساعات الدوام، كانت تتسلل الي بعض عيون الزملاء والزميلات أثناء مرورهم بمحاذاتي، محاولة القفز داخل رأسي لمعرفة السبب الحقيقي لإزالتي للحيتي؟

عند انتهاء ساعات العمل، وعودتي الى البيت، مررت بالميني ماركت لشراء بعض الزواكي لأطفالي (نبيل، تالا) حيث هاتفتني نخلتي الصغيرة وأنا في العمل أنها تريد "شيبس، وشوكلاته"، أما نبيل فطلب أن أجلب له "عصير، بسلي"، لكن ابني "كريم" كان حديث

الولادة، في عمر الشهرين تقريباً.

عند خروجي من الميني ماركت، وبعد أن تجاوزته ب ٣٠٠ متر تقريباً، كان في طريقه اليه أستاذي لمادة اللغة العربية، والذي علمني أصولها في المرحلة الإعدادية والثانوية، ولقد كنت ألتزم حصته لأن حبها ينغرس في خاصرتي، فهي لغة كتابنا ومصحفنا الكريم.

أوقفني وانتحى بي جانباً، وكانت أعينه مصوّبة نحو ذقني، ثم قال لي: "أحب أن أطالع فيديوهاتك ودروسك التي تملأ العقل بأثقال العلم، وكم أنا سعيد أنك أحد طلابي، ولكن بعيداً عن كل هذا.. صدر مدينتنا يغلي، ويريد اجابة واضحة منك تشفي غليله، خصوصاً بعد إزالتك للحيتك؟!".

قلت له بصوت محبور: "سل ما تريده يا أستاذي؟".

هتف بحبور: "لا استطيع أنا ولا المتابعين من إدلائنا برأي نقدي أو بحكم تقيمي حول هويتك الطائفية؟ فقد يكون رأيي ورأي المتابعين لك مبتسراً، وحكمنا مجتزءً، لأننا لم نتمكن من تحديد المدرسة التي تنتمي اليها؟! أو الفرقة التي تتحدث باسمها؟! وخصوصاً أنك أفصحت في أكثر من لقاء ومقابلة لك أنك مستقل، ولا تنتمي لأي طائفة أو مذهب أو مدرسة أو حركة! فهل أنت تنتمي لأحد الفرق الكلاميّة، كالمعتزلة مثلا أو غيرها؟!".

من غير مقدمات شرعت أجيب: (الفرق الكلامية يا أستاذ تنقسم الى "الأشاعرة، والماتريدية، والسلفية أو أهل الحديث، والمعتزلة"، بالاضافة الى "الجهميّة"، و"المُرجئة"، والمعتزلة هم فرقة كلامية إسلامية ظهرت في بدايات التاريخ الإسلامي، اشتهروا بتغليبهم العقل على النقل، واعتمادهم على التأويل في فهم النصوص الدينية، و"الجهمية" هي فرقة ظهرت في القرن الثاني الهجري على يد الجهم بن صفوان، وهي فرقة كلامية إسلامية مشهورة بنفيها لصفات الله تعالى -التعطيل- ومواقفها في الجبر المطلق وحقيقة الإيمان، و"المرجئة" نشأت في صدر الإسلام، ويعود تسميتها إلى -الإرجاء- وهو تأخير الحكم إلى يوم القيامة على أعمال مرتكب الكبيرة، لاعتقادهم بأن أعماله لا تضرّ إيمانه، وأن الإيمان يقتصر على التصديق القلبي أو الإقرار اللساني دون العمل، وهي فرقة إسلامية، كما أن هناك مدارس عقائدية مختلفة ضمن أهل السنة والجماعة، وقد ذكرت سابقا أسماء هذه الفرق، كالأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث "الأثرية"، والحركات الاسلامية السنية ومنها "الوهابية" والتي أسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، نشأت في منطقة نجد في شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر الميلادي، وهي حركة إصلاحيّة إسلامية سنية سلفية، تدعو إلى ما تعتبره -تطهير- الإسلام مما تراه بدعًا وشركًا، والعودة إلى الأصول، أي القرآن والسنة النبوية، و"الماتريدية" والتي تتعارض مع الأشاعرة في بعض الجوانب المتعلقة بالصفات الإلهية، وهي مدرسة كلامية

سنية، و"الإخوان المسلمون" التي تأسست في مصر، وهي حركة إسلامية عالمية، تسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في جوانب الحياة، و "حركة حماس" والتي انبثقت من رحم الإخوان المسلمين، ولكنها أعلنت انفصالها عنها، وخصصت نفسها كحركة مقاومة إسلامية فلسطينية، و"حزب التحرير" وهو حزب سياسي إسلامي عالمي، يهدف إلى إقامة الخلافة الإسلامية، و"الأشاعرة" وهي مدرسة كلامية سنية، ترتكز في فهم العقيدة على العقل والمنطق، و"السلفية" وهي عبارة عن منهج إسلامي ينادي بالتمسك بالكتاب والسنة فقط، وبفهم السلف الصالح، و"الديوبندية" وهي حركة إسلامية هندية، تهتم بتجديد الدين وإحياء الحضارة الإسلامية).

وبينما أنا في دوّامة الحديث، أخذت نفسا طويلا، ورددت على أستاذي وأنا أقرب رأسي إليه: (ولكني لست معتزلا يا أستاذ، وإن كنت أرى في العقل المعجزات، ولكني لا أغلبه على النقل في العقيدة، إلا في نصوص السنة الغير مترادفة والتي تستدعي التنقيح، وباستثناء "السنة الفعلية" والتي لا يوجد للرأي فيها مكان بالنسبة لي، ولست أيضا أشعري يا أستاذ، وإن كنت أؤمن أن العلم والدين يلعبان دوراً هامّا في فهم النصوص الدينية، فلقد قال ربي جل في علاه: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"، ولم يقل "المصليين، أو المشايخ، أو غيرهم"، وإنما العلماء، لأن العالم يعلم تماماً أن كوكب الأرض يسبح في محيط فوار من الظواهر الطبيعية والقوانين العلمية التي تؤشر نحو الله سبحانه وتعالى.. على العموم، لن أطيل في تبيان ما في جوفي: "أنا صوفي"، ولكني صوفي معرفي على طريقتي).

نفض رأسه بتعجب: "صوفي!!"

فأجبته: "نعم.. صوفي".

فقال لي على سبيل التأكيد: "يعني إنت صوفي المذهب؟!".

فأجبته مستنكراً: "الصوفية ليست مذهب، ولا طائفة، الصوفيّة هي حال".

فقال لي مستفهماً: "طيب.. ماذا تقصد بصوفي معرفي على طريقتي؟".

فقلت له مبيّناً: (الصوفية طُرق، وتتفرع الى ٣٦ طريقة، وأشهرها "القادرية" نسبةً إلى عبد القادر الجيلاني، و"الشاذلية" نسبةً إلى أبي الحسن الشاذلي، وتتميز بتبسيط الطريق على الناس، و"النقشبندية" نسبة للشيخ محمد بهاء الدين نقشبند، وتنتشر في آسيا الوسطى وسوريا، و"الرفاعية" تشتهر في الأرياف والبُوادي وتتميز ببعض الخرافات الظاهرة كضرب النار واللعب بالحيوانات، و"الخلوتية" وتنتشر في مصر وتركيا والأردن، وهناك الطريقة الكركرية، و الطريقة السعدية، والطريقة الرفاعية، و الطريقة الأحمدية، والطريقة الخليلية،

الطريقة الأكبرية، والطريقة السعدية، وغيرها.. ولكني لا أتبع أي طريقة فيهم، فأنا صوفي على طريقتي الخاصّة").

فسألني بنغمة رخيمة: "وما هي طريقتك؟!".

فأجبته بصوت واضح: "قبل أن أوغل في طريقتي، هناك حملات تضليل وتشويه وتكميم حول الصوفية، إن الصوفية حقيقة هي تيار روحي في الإسلام، يركز على التزكية والأخلاق بهدف الوصول إلى الله من خلال التجربة الشخصية، وليس فقط الالتزام الظاهري للشعائر الدينية، وتصوّفي هو حالي مع الله سبحانه، وليس حال غيري معه، وطريقتي هي ما جاء به القرآن أولا، ثم السنة الفعلية والمتواتر من السنة القولية وما صح منها بعد التنقيح ثانياً، ثم ما انتخبه عقلي من العلوم والفلسفة ثالثاً".

دخل وقت العصر، فسألته السماح لي بالرحيل، فقد تأخرت على أولادي، وهم بانتظار حاجياتهم من الزواكي، أطلقت أرجلي للهواء حتى وصلت المنزل.

كانت باستقبالي "تالا"، تقف على عتبة البيت: "جبتللي زواكيي؟".

أنا بابتسامة رقيقة: "مش لمّا تبوسي بابا بالأوّل! مش لمّا تحضني بابا وتحكيلو أهلا وسهلا! يالله احضني بابا، وبوسيه عشان يعطيكي الزاكي".

تالا على عجلة: "ها.. بوستك، ها.. حضنتك، يالله أعطيني الزاكي؟".

حضر ابني "نبيل" بعدها، وباتزان قال لي: "أهلا وسهلا بابا.. كيفك.. ان شاء الله كنت مبسوط ويومك حلو".

أخذت ابني نبيل بالأحضان، وناولته زواكييه، دخلت المنزل، سلمت على أهلي، وتناولت غدائي، ثم بدلت ملابسي وطرحت نفسي على السرير، ثم غفوت اغفاءة قليلة .

دقّ جرس منبهي على الساعة السادسة مساءً، والذي أحمكته قبل ساعة من ندوتي العلمية والفلسفية في أحد المتاحف الأدبية والثقافية، حيث تم توجيه دعوة لي لمناظرة أحد المفكرين المسيحيين البرازين في الوسط الثقافي الفلسطيني، وهو متخصص في اللاهوت وله بعض المؤلفات والكتب، وراعي لإحدى الكنائس الإنجيلية.

ركبت الطريق حتى انتهيت الى المتحف، صعدت الدرج الذي يفضي الى القاعة، وإذا بالمقدم يزعق: "وصل.. هيو وصل؟!"، عند ولوجي كانت القاعة تعج بلفيف من الكتاب والأدباء والشعراء والروائيين والساسة والصحفيين والإعلاميين والأكاديميين، وجزء لا بأس به من العامة والمعارف.

أخذ معظم معارفي من شتى المجالات يمتشقون وجهي، ويبحثون عن لحيتي، رأيت ذلك في تلافيف رؤوسهم نحوي وهم يفتشون كالمحمومين عنها، ولا ألومهم، فقد اعتاد الجميع على رؤيتي بلحية بحجم قبضة اليد.

أصخت السمع أثناء شقي لصفوف الحاضرين، صعدت الى ذهيني بعض الكلمات، تحليلات تتعارك في رؤوسهم عن سبب ازالتي للحيتي، حتى وصلت الى مكاني.

كان يدير المناظرة والنقاش أحد القامات السياسية والفكرية والأدبية، وبدأ الحوار بيني وبينه، والذي كان موضوعه يتمحور حول فكرة أن الله سبحانه ربط العقيدة بالجغرافيا من خلال اللاهوت المسيحي، أي: "من خلال المسيح عيسى عليه السلام"، وأن فكرة الله نتاج تطور إنساني.

وبعيداً عن لحيتي التي كانت معظم الأنظار تتعالق بها وتفتش عنها، كنت أجيب أن الله سبحانه ربط العقيدة بالجغرافيا ولكن ليس بيد المسيح -عليه السلام- وانما بيد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وهذا ليس نقصاً في المسيح، فلا يكتمل إيماننا كمسلمين الا اذا آمنا بالمسيح، لكن لم يتبين دينيّاً ولا تاريخيّاً أن الذي صعد الى السماء، ثم عاد الى الأرض إلا نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- فنبينا عيسى -عليه السلام- في العقيدة المسيحية والتي هي مجموعة المعتقدات والممارسات التي تؤمن بها الطوائف المسيحية، والتي تتمحور حول الإيمان بإله واحد في ثالوث (آب وابن وروح قدس) ونبوة يسوع المسيح وتجسده وصلبه وقيامته، فإنه قد صلب وانهت قصته على الأرض.

وأما نحن المسلمين، ففي عقيدتنا الإسلامية أخبرنا أن الله سبحانه توفاه وقبض روحه -عيسى عليه السلام- ثم رفعه اليه، قال تعالى: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" (ال عمران / ٣)

وهذا يؤكد أن الوثاق المُحكم بين العقيدة والجغرافيا لم يكن على يد نبينا عيسى -عليه السلام- بل كان على يد نبينا المصطفى -عليه الصلاة والسلام- حيث أسري به فيزيائياً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى، وصلى بالأنبياء قاطبة في المسجد الأقصى (وهنا كانت الجغرافيا) قال تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الاسراء / ١)

ثم عرج به فيزيائياً الى سدرة المنتهى، حيث فرضت الصلاة والعبادات (وهنا كانت العقيدة) قال تعالى: "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ

الْمُنْتَهى، عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشى، مَا زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى، لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى" (النجم / ١٢)

ثم عاد به البراق على بساط الأرض، ولم تُذكر الدابة "البراق" في القرآن الكريم، ولكنها ذكرت في حديث الإسراء الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وغيرهما، فقد ورد في رواية مسلم: "ثم أُتِيت بدابة يقال لها البراق، فوق الحمار ودون البغل، يقع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، ثم انطلقنا".

أما بالنسبة للجزئية الأخرى من المناظرة، فقد كانت في طرح القس لمسألة أن الله نتاج تطور إنساني، وأنا لا ألومه، فالذي كتب العهد الجديد "الأناجيل الأربعة" هم بشر "متى، مرقس، لوقا، يوحنا"، هم مؤلفو الأناجيل الأربعة، وكان ذلك بعد عدة عقود من وفاة المسيح، في الفترة ما بين عام ٧٠م وعام ١١٠م، وتُعد المصادر الرئيسية للمعلومات عن حياة يسوع، معظم الباحثين يرجحون أن إنجيل مرقس كُتب أولاً، ثم متى، ثم لوقا، وأخيراً يوحنا.

بينما كتابنا "القرآن الكريم"، فقد حفظ ذكراً في صدر نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وفي صدور الصحابة، والتابعين، وتابعين التابعين الى يوم الدين، قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (الحجر / ٩).

القرآن حفظ ذكراً، وليس خطّاً، ولذلك لا يمكن تحريفه، وتم تدوين أيضاً وكتابته في عهد النبي محمد من قبل كُتّاب الوحي، ثم جُمع في عهد الخليفة أبي بكر الصديق بعد وفاته.

لذلك في اللاهوت المسيحي تطرق هذا القس والمفكر المسيحي الى القول بأن الله نتاج تطور إنساني، لأن الأناجيل الأربعة حرّفت على يد الكتبة "متى، مرقس، لوقا، يوحنا"، مؤلفو هذه الأناجيل، بينما القرآن لم يأتِه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بالإضافة إلى تواتر قراءات القرآن وانتشاره بنسخة واحدة عالميًا، مما يدل على الحفظ الإلهي الذي حرسه ذكرا في صدور وقلوب المسلمين والمؤمنين من عهد نبينا -عليه الصلاة والسلام- حتى قيام الساعة.

فسألت المفكر المسيحي: (هل لديك دراية في علم الميتافيزيقا "Metaphysics" أو الماورائيات؟).

فأجابني بحرج: "لا"

فقلت له لأسهل الأمر عليه: (هل تحب أن نتحدث بعلم "Theology" أو "Ontology" أو "philosophia" لأفند ما قلته من ناحية أن "فكرة الإله نتاج تطور إنساني؟" أم نتحدث بكل بساطة بعلم "Anthropology" وتفرعاتها؟).

زحف الصمت على فمه، فأخذت الحديث من صمته كي أخرجه من الورطة، ولم أكن أدري أني سأورطه في أخرى أكبر منها، فقلت له: (هل تعلم أن مبتدع فكرة أن "الإنسان هو من خلق الله، وليس الله هو من خلق الانسان" هو عالم المنطق والفيلسوف البريطاني "بيرتراند راسل Bertrand Russell"، ولقد كان من أشرس الملحدين!! فلا أعتقد أن مفكراً مسيحيّاً وقس مثلك يؤمن بما يلحد به بيرناند راسيل؟! لا يمكن أن تتشارك كقس مسيحي ولاهوتي بما يلحد به الفيلسوف البريطاني "بيرتراند راسل" حول فكرة أن الله -سبحانه- نتاج تطور إنساني ومن بنات أفكار الإنسان إن كنت مؤمناً؟! أليس كذلك؟! هذا تناقض عجيب كونك رجل دين مسيحي ولاهوتي؟!).

صفع الصمت القاعة بأكملها..

أردفت أقول في ظل هذا الصمت مستعينا بربي: (لا يمكن لإبنتي "تالا" والتي لم تبلغ أي مرحلة تعليمية بعد، ولم تتلقى أي مادة علميّة، أن تقف فجأة ونحن نتناول وجبة الفطور وتسألني: "بابا.. أنا كيف جيت؟ مين خلقني؟"، هي لم تتناول أي وجبة تعليمية بعد! فكيف تقول لي: "فكرة الله نتاج تطور انساني!"، كيف تكون فكرة الله نتاج تطور انساني وقد سألت طفلتي الصغيرة سؤالا في صلب اللاهوت المسيحي والعقيدة الاسلامية حول خالقها ونافحها وهي لم تتشرب اي علم بعد؟! وهذا متواتر بين أطفال العالم جميعهم، إن كان الطفل "مسيحي، مسلم، يهودي، ملحد، لاديني، لاأدري، شاذ، منطقي، علمي" وليس صدفة!! وهذا يؤكد على أن فكرة "الله" مزروعة بجذر النوع الإنساني، والذي زرع الفكرة هو الذي خلق طفلتي، وخلق كل انسان على وجه الأرض! ويوجد دليل واحد فقط في كل الكتب السماوية يؤكد هذه الحقيقة، وهي منضوية في القران الكريم، قال تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ(172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) "سورة الاعراف"، نحن وقفنا جميعا أمام الله تعالى، وشهدنا أنه لا اله الا الله في هذه اللحظة النورانية، وهنا تم زرع فكرة "الله" وأنه "لا اله الا الله") .

أجلت النظر في القاعة وكأن الطيور على رأسها، واذا بالمقدم والمحاور يزعق معلنا انتهاء الحوار.

تحلق الناس حولي بعدها للسؤال والإستفسار في بعض النقاط، والتقاط الصور، وأخذ معي المعارف صوراً كثيرة، عند خروجي قمت بتحميل احداها كصورة شخصية على صفحتي في الفيسبوك، لينفجر حائط الفيسبوك بمزيج من التعليقات المتناقضة بين عبارات الفرح والشجن، وأخرى فيها عتب وغضب حول اختفاء لحيتي، كان منها:

(("منور؟! شو هالتغيير!!".

"نعيماً!! إنت اللي شلتها، والا بدافع من حدا!! انت فاهم قصدي طبعا هههههه".

"نعيماً.. بس ممكن أعرف أسباب إزالة اللحية؟!".

"أحسن الإزالة.. بس ليش أزلتها؟!".

"صراحه هيك بلا لحية مبين اصغر بكثير من اللحية، مع انه اللحية بتعطي هيبة ووقار.. بس ليش؟!".

"يا صديقي.. انت جميل بكل حالاتك.. بس فينا نعرف السبب؟".

"صحيح اللحية هيبة، بس هيك أحلى.. بس برضو ليش شلتها؟!".

"انت جميل القلب والمظهر.. ولكن هل هناك اسباب قاهرة دفعتك لإزالتها؟!"

"شو قصتك يا حلو؟! مرة بلحية!! مرة بدون!!".

"انت مرتب حبيب.. بس وضعك ايش بعد اللحية؟!".

"اللحية ضرورية.. ولا يهمك المهم تكون مرتاح".

"بلحية وبدونها .. نحبك يالحبيب وابن الحبيب.. ولو انو نفسنا نعرف السبب".

" نعيما ..قبل كنت امبين ٧٠ سنه، هسا شي ٢٥ سنة، بس يكنش حلقها يأثر عليك؟!".

" يبدو انك تبدو اوسم باللحية، ولو أن ازالتها يثير الشكوك".

"ليش شلتها؟ المدام السبب.. أكيد هههههههه".

" مشكلة انو الناس بتحكم على الظاهر!!".

" كبير يا مفكرنا، والفكر ليس مرتبط باللحية".

"كيوت يسعدو المفكر".

"وهل شعر لحيتك يخصك أنت أم يخصهم هم، دعك من الجميع؟".

"لو كان المظهر يدل على الجوهر لكنا مجتمع الفضيلة في ظل انتشار ظاهرة إطلاق اللحية وربطها بالفضيلة والتدين، ان الاوان أن نقيّم الإنسان ونحكم عليه من منطلق نهجه وفكره لا من لبسه ولحيته، عش كما تريد وأترك للآخرين ظن ما يريدون".

"الله يعينك يا صديقي".

"منور يا اخي بلحية او بدون".

"مرتب حفظك الرحمن".

"لحيه وبدون هذه أمور شخصية ".

"حلو مش حلو مش شغلنا، المهم المدام راضيه عنك".

"انت انسان وسطي، وغير متطرف بالافكار، وغير محسوب على احد، و هذا سر نجاحك".

"استمر".

"نهتم جدا بالقشور والظاهر من الأمور على حساب العمق للأسف الشديد، تحياتي يا مفكر".

"معقوله المبادئ والفكر والعقل وحتى الاحاسيس تكون مرتبطة بطول اللحية او قصرها؟؟؟".

" نحن بزمن غريب عجيب الصراحه".

"صباح الخير، نعيماً، في لحيه او بدون لحيه قلبك طيب يا غالي بس بيني وبينك هيك احلى رجعت ٣٠ سنه لورا".

"وهنيئا لك حلق لحيتك، فالله لا يحاسبنا على طول اللحى او قصرها بقدر ما يحاسبنا على المعاملة بيننا كمسلمين".

"أنت يا شقيقي حر ولست ملزما بتقديم الأعذار لاي كائن من كان.. فالله وحده هو الحسيب والرقيب".

"نعيما ولكن سبحان من زين الرجال باللحى!!".

"المفكر الإسلامي محمد كبها الغالي، شو ما كنت و شو ما هتكون انت زلمة فهمان و محترم و تستحق الاحترام، واي دعوة من الدعوات اللي تقدمتلك فهي جزء من العنصرية المخفية بمجتمعاتنا اللي بترفض تتقبل الغير، وهاي اعظم مشكلة بوجهة نظري".

"حلو ..... لكن لا تلومهم.... فأنت مفكّر إسلامي .... يعني..... بلا لحية مش معقول؟!".

"بلحية وبدون لحية انتا متكتك ومحبوب يا مفكر. الله يسعد صباحك" .

"بظن تلك حرية شخصية، وما حد يحق له ان يتدخل في خصوصياتك، ولست مجبر لتقديم مبررات، يسعد اوقاتك مفكرنا".

"جميل الخلق والأخلاق، لطيف الروح، طيّب النفس، أكيد ثابت على القيم والمبادئ صديقي، مهما كان إنتماؤك السياسي ، حفظك الله مفكر محمد وحفظ أسرتك الكريمة".

"مكانة اللحية في المسلمين المعاصرين مكانة عظيمة كمكانة وضع الصليب على صدر المسيحين".

"الله يعينك!!!!"

"لا ينظر الله إلى صوركم ولا إلا اجسادكم إنما ينظر إلى قلوبكم، محط نظر الرب القلب سبحانه وتعالى، وهذا هو المهم والذين من دونه بشر ولهم أهواء، ونضّر الله وجهك المفكر الإسلامي محمد كبها".

"ياحرام كل هؤلاء المذكورين مع تعدد الاراء كانت ارائهم سطحيه ولا يعلموا ان الدين يشملهم كلهم ويعرف صفات كل واحد منهم وليعلمو ان الدين والاسلام غير مربوط باللحيه سامحهم الله وهداهم حتى بدون لحى")).

كان من بين التعليقات تعليق مميز وآخر غريب، أمّا المميز فكتب صاحبه يقول: "هناك كتاب لمؤلف بحريني -الدكتور فواز الشروقي- عنوانه -ثم حلقت لحيتي- يروي بشكل روائي سيرة تقلباته الفكرية وصولاً لحلق اللحية".

وأمّا الغريب، فنثر صاحبه يقول: "وانا بشوفك صرت تشبه -حميد الشاعري- وانا بحب حميد .. يسعد صباحك صديقي المفكر".

وأكّدت خلفه احدى المتابعات تقول: "حدا حكالك إنك شبه حميد الشاعري؟؟؟".

لترد عليها أخرى: "كتير بشبهووو!!!".

دخلني من الدهشة ما دخل، فلا أراني أشبه المغني حميد الشاعري؟ ثم قلت لنفسي: "هيّي وقّفت على حميد الشاعري!! يخلق من الشبه أربعين".

بعد كمّ التعليقات هذه، وقفت كتلة من الكلمات في حلقي: "ماذا تصنع في بشر ضاعت حدودهم على يد أحزاب وفرق وطوائف وجماعات وعصبة؟! ماذا تفعل لبراديغما مجتمع أظهرت فيه لحيتي المرحومة منعطفاته الأيديولوجيّة والسوسيولوجيّة والأنثروبولوجيّة والسيكولوجيّة والفسيولوجيّة والسياسية؟".

تأوّهت وأرسلت عيني الى السماء، فرأيت النجوم تضحك، فخاطبتها: "اضحكي.. فلك الحق أن تضحكي على بشر حكموا على أنفسهم بالسجن تحت راية آمن باسمها من آمن، وكفر بها من كفر!!".

نظرت الى ساعة محمولي، فوجدت العقرب ينحو نحو العاشرة ليلاً، شددت الحزام، وانطلقت على عجل الى المنزل، فلا أريد أن أضيع فرصة مطالعة كتاب "ثم حلقت لحيتي" لأنني قد أسهو عنه لكثرة انشغالي في القراءة والكتابة واللقاءات والندوات والحوارات.

أنزلته من احدى المواقع على الشبكة العنكبوتية، واتضح لي أنه للكاتب "فواز الشروقي"، وهو شاعر وروائي بحريني، صدر له كتاب "ثم حلقت لحيتي- تجربة اغترابي في الجماعات الإسلامية" عام ٢٠٠٨م، وصدر له رواية "الدفنة" عام ٢٠١٤م ، وصدر له ديوانين شعر "ابدية العينين" عام ٢٠٠٩ و "قريبة كنجمة بعيدة كقبلة" عام ٢٠١٩م.

كتاب "ثم حلقت لحيتي- تجربة اغترابي في الجماعات الإسلامية" هو كتاب سيرة ذاتية، يتحدث فيه الكاتب عن عهد امتد فيه تواجد الجماعات السلفية ونشاطاتها، حيث احتضنته احدى هذه الجماعات منذ نعومة أظافره، ليشرع وقتها في رحلة طويلة امتدت ثمانية عشرعاما، تنقل خلالها بين ثلاثة تنظيمات سلفية في البحرين، لينتهي به الحال أن يصبح أحد أكثر أعضائها وفاءً وولاءً حتى نادوه وهو في ريعان شبابه ب"الشيخ".

يقول في كتابه أنه امتثل لما يحللونه، واجتنب ما يحرمونه، وارتدى لباسهم، وكان إماماً بالمصلين، وخرج معهم خروجاتهم.

أقلع عن الشعر والأدب وسماع الموسيقى، وآمن بالأوهام والخرافات، ثم سلخ نفسه عن مجتمعه معتبراً أن أي انسان لا ينتمي الى جماعته أنه في ضلال.

لكنه وفي النهاية أدرك أنه لا يجوز احتكار الدين وارغام الآخرين عليه، وأن الإختلاف والتنوع وتقبّل الآخر هو الصواب، كما قال أن الانسان بحاجة إلى مشاركته شؤون الحياة وتفاصيلها مع الآخر، ليتخذ خطوة هدّت كل ما مضى، حيث حلق لحيته، وأعلن انسحابه مما كان عليه، وأقبل على الناس وانخرط في المجتمع بكل أشكاله وألوانه، وكتب تجربة اغترابه مع الجماعات الإسلامية في هذا الكتاب.

ملخص هذا الكتاب أنه يتحدث بشكل واضح عن حالة انخراطه بين صفوف المتشددين إسلامياً، عبر اتصاله بثلاث جماعات كبرى شعر في أحضانهم بالإغتراب، فبحث الكاتب في كتابه عن أسباب هذا الاغتراب.

الكتاب لا يقتصر على بث تصورات ومفاهيم لأنشطة الجماعات الإسلامية وبرامجها، وإنما تجربة شخصية عاشها الكاتب بين يدي هذه الجماعات.

ولقد بيّن الكاتب من نشر سيرته الذاتية في هذا الكتاب أن الغرض ليس التشهير بالجماعات الإسلامية، أو تكريه الناس بهم، وإنما ارشادها الى المفاهيم الصحيحة، واعتاقها من الخرافات

والأوهام التي ليست من الدين.

كان أصعب ما مر به الكاتب من مراحل في مشواره مع هذه الجماعات، هي مرحلة الخضوع واظهار الطاعة التامة للشيوخ، ولام الناس على تقديس المشايخ، وكأنهم هم الوسطاء أو الوكلاء عن الله تعالى في الأرض.

وأن النظام الذي تقوم عليه هذه الجماعات هو إنغلاقي، قائم على الإنعزال وتوخي الحذر الشديد، فلا يجب على العضو أن يحتك بالمجتمع إلا للضرورة الملحّة.

وتطرق الى مسائل عديدة كالجن، والقصص العجيبة والغريبة التي لا يقبل بها العقل ولا المنطق، كما وتحدث عن التصديق بالخرافات، والسلوكيات الغير منطقية، والأوهام المنتشرة، وقصور المرأة وأنها يجب أن تبقى تحت عدسة المراقبة.

مما وضع الكاتب في أزمة نفسية صعبة أجبرته بعد كل ذلك على استخدام العقل في منهج هذه الجماعات، الى أن وصل أن حياتهم عبارة عن زيف ممزوج بالتعقيد، فقرر الخروج من هذه الجماعات، والرجوع الى الحياة الطبيعية التي تتمثل بالرحمة والتسامح والاعتدال وتقبل الآخر.

وعاد إلى مطالعة الروايات وتتبع السياسة، والاستماع الى أغاني فيروز وشعر نزار قباني، واقترح بعض الحلول على هذه الجماعات، من جملتها أن تعاصر الناس، وتنفتح عليهم وعلى أفكارهم، وأن تتقبل الإختلاف والتنوع الفكري الموجود في المجتمع.

وركز على اعمال العقل ونقد التراث والتطور في المفاهيم.

في ختام كتابه، وفي فصل (ثم حلقت لحيتي) كتب المؤلف يقول: (رافقتني لحيتي طوال فترة اتصالي بالجماعات الاسلامية، وكانت معيناً لي على توثيق الصلة بهذه الجماعات، ولكنها كانت عائقاً في بعض الأحيان عن الاتصال مع كافة الشرائح الأخرى، كانت تضعها ضمن السنن المؤكدة، وتدعو الى الاتزام بها، وكانت لحيتي مبعثرة وغير مرتبة، ولكنها كانت كافية لولوجي دنيا المشيخة من أوسع أبوابها، وتخلى الناس عن ذكر اسمي، واسموني "الشيخ"، وكاد الغرور يداخلني، لولا طفولتي وحبي لكرة القدم، واكتشفت مقدار اهتمام الجماعات الاسلامية بالقشور، وابتعادها عن اللب والأساس في كثير من القضايا، فهذه الجماعات تعطي الاولوية في التصدي لإنتشار الموسيقى، أكثر من التصدي للأمراض الفتاكة! وتعتبر دخول المرأة في ميدان الرجل، أكبر ضررا من تولي مرتش فاسد مسؤولية مؤسسة حكومية).

ويضيف: "وتكفي بعض شعرات مبعثرة على الوجنتين أن تصبح صاحب أمر ونهي، وصاحب أتباع ومريدين في هذه الجماعات، ولو كان ذلك على حساب الكفاءة".

ويختم: "قررت أن أحلق لحيتي.. فذهبت الى الحلاق، وقام بعمله البطولي بتغيير شكل حافظت عليه لثمانية عشر عاماً، ولم يكن بباله أنه ينهي مرحلة من حياتي، ويفتح لي أبواب مرحلة أخرى، وباستغنائي عن لحيتي، تجاوزت آخر خطوط اغترابي، وألقيت عن كاهلي سنوات غربتي في الجماعات الإسلامية التي حملتها في السنوات الأولى مقتنعاً، وحملتها في السنوات الأخيرة مكرها، وخلّصت عقلي من صدأ الانقياد وقيود الاتباغ، ومنحته جناحين ليطير في آفاق مفتوحة، وعوالم ممتدة، لأسترجع ما فاتني من هذه الحياة).

أغلقت الكتاب بعد أن انتهيت منه، وفرحت بعودة الكاتب، ودعوت له أن لا يقوده اطلاق عقله من اغترابه بين يدي الجماعات الإسلامية، الى إغتراب يلقي به في نار وقودها الناس والحجارة.

حمدت الله أنني لا أنتمي لأي فصيل أو حركة أو حزب أو طائفة أو مجموعة أو فرقة أو أشخاص، وهمست لنفسي: "أيها الحزب باسمك آمن من أمن، وأيها الطائفة باسمك كفر من كفر، وأيتها الحركة باسمك ركن من ركن، وأيتها المجموعة باسمك جحد من جحد، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا".

دنا وقت السحر، وكانت أعيني ترفض النوم، وهذا حالي، فإذا زلّت ساعة الليل من السدفة الى الفحمة يصعب علي النوم، ويزداد صممي عن الإتصال به والولوج فيه، فأخذت أدوّن بعض الأفكار حتى جاء الفجر، فقمت للوضوء، ثم خرجت الى المسجد.

عندما ولجت كان أبي يجلس كعادته في زاوية المسجد، يصلي ويدعوا ويقرأ ما تيسر له من القرآن، وقفت بجانبه وصليت ركعتين تحية المسجد، وعندما أخذت بالتسليم كانت أعين الإمام مصوبة نحوي، وكأن ملامح وجهه تقول لي: "وين اللحية؟! ليش حلقتها؟!".

حضر وقت إقامة الصلاة، وعندما انتهينا من أدائها، اندفع نحوي أحد المعارف والذي أمطرني بالعبارات الباهرة لإزالتي للحيتي، وكأنه سحابة تغدق علي بفيوض الكلمات البراقة: (يا زلمة شو هالتغيير الغير متوقع والحلو!!! كنت متل رجال الكهف.. أيوة هيك أحلى.. أوعك تربي اللحية تاني مرة.. صغرت عشرين سنة! والدين عمرو ما كان باللحية؟! إن الله لا ينظر الى صوركم وانما لقلوبكم، مش هيك يا شيخ محمد؟ وأنا كنت خايف عليك! لما كنت أشوفك بشعرك ولحيتك الطويلة قلت لحالي: "شو مالو؟ ليكون صار معاه إشي.. ليكون إلتم على حدا.. والا مجموعة لعبت براسو؟"، حاكم الناس حوليك كتير.. أنا بعرف.. وبشوف.. ومتابعك.. خليك هيك.. واعوى تربي لحيتك.. أنا بحبك.. وانت عارف اني بحبك وبدي الخير لإلك).

ثم أخذني من يدي، ولف بي يسأل المصليين: "مش هيك شكل المفكر محمد أحلى؟!".

بعد هذه الزفة، أخذت نفسي كالعصفور وطرت الى البيت، قضيت الساعات المتبقية قبل ذهابي الى العمل في تبييض الكتب، ثم أخذت أمسح عنها الندب، وأجبر عنها الشقوق، حتى دقت ساعة العمل.

عندما وصلت، صعدت الى الدرج الذي يفضي الى احدى مكاتب الزملاء والمسؤولين في مؤسستنا، حيث عاد بعد غياب طويل أُجبر عليه أثناء فقده لأحد أفراد عائلته، عندما دخلت الى مكتبه انسلت أعينه عبر المسافات الهوائية الى وجنتي لأقرأ فيها الإقرار.

في هذه الأجزاء من الثانية نهضت بي ذاكرتي وقذفتني قبل بضع سنين، حيث التقى بي احدى المسؤولين -وكان من الدرجة الأولى في الدولة- وكانت لحيتي بحجم قبضة اليد، فعنما رآني أعفيها وأرخيها أرسل لي نظراته الكريهة، والتي نابت عن مجلد كامل يفسر به كرهه للحيتي دون سبب مني، فقط لمجرد فكرة أن هناك لحية تصول وتجول في المؤسسة، ثم قال لي بفم وقح: "ليش مربي لحيتك؟! بكرة بتحلقها؟! ممنوع حدا يربي لحية عندي هون في المؤسسة أبداً!!".

عادت ذاكرتي بي الى الواقع، وقدّمت واجب العزاء له، وتشاركنا الحوار، الى أن حانت لحظة اقتناصه للفرصة، فسألني وقد اختلطت عليه الكلمة، وزحف السؤال رغما عنه: "مالك حالق اللحية يا مفكرنا؟ ليش حلقتها؟".

العبد الفقير لله: "يعني.. عندي أسبابي".

المسؤول: "طيب احكي؟ شو هيّة الأسباب اللي بتخلي شيخ يتخلى عن لحيته؟!".

العبد الفقير لله: "السبب تافه جدّاً بالنسبة للناس، بس بالنسبة إلي مهم جدّاً".

المسؤول: "يعني أنا بعرف إنو المشايخ طُب في أي إشي بالنسبة إلهم إلا اللحية! مش ممكن إنك تقدر تناقشهم فيها؟! حتى بعضهم -وخصوصاً في بعض المذاهب- أفتى بتحريم أي شخص بحلق لحيتو!! مزبوط يا شيخ، وإنت مفكر كبير وأكيد عندك المعلومات!؟".

العبد الفقير لله: "مزبوط.. في مذاهب حرمت حلق اللحية -وليس المذاهب السنية فقط، وحتى المذاهب الشيعية كمان- إلا المذهب الشافعي عند السنة، والذي أحال الحكم فيها الى مكروه، وفلسطين تحت المذهب الشافعي، علما أنني لست شافعي".

المسؤول: "يعني انت لا شافعي! ولا ماشي على أي مذهب سني! طيب انت شيعي مثلا؟".

العبد الفقير لله: "لا.. أنا مش شيعي.. وأنا وضّحتلك قبل شوي إنو المذاهب الشيعية بتحرّم حلق اللحية، فكيف يعني بدّي أكون شيعي؟!".

المسؤول: "طيب.. معلش وتحمّلني بسؤالي.. انت لا سني ولا شيعي.. طيب انت بتتبع أي مذهب؟".

العبد الفقير لله: (في باكورة الأمر.. وفي عهد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- كانت مسائل الدين تُأخذ مباشرة من الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكان يبيّنها للناس بفعل أو قول أو تقرير، حيث كانت الأحكام الشرعية تنزل عليه، ثم جاء بعد ذلك عصر الصحابة -رضي الله عنهم- حيث كان الناس يسألون الصحابة عن أمور دينهم، ثم جاء بعد ذلك عصر التابعين -رحمهم الله- والذين انقسموا الى قسمين، الأول وهم "أهل الحديث" والذين اعتمدوا على الأثر ونادرا على القياس، وهم أصحاب "مدرسة الحجاز"، والقسم الثاني هم "أهل الرأي" والذين اعتمدوا على الرأي والقياس معا، وكان منهم الفقيه "إبراهيم بن يزيد النخعي" وهو أحد رواة الحديث، ومؤسس مدرسة "الرأي" بالعراق، وأهل الرأي سميت مدرستهم "مدرسة العراق"، وبسبب الإختلافات الفكرية، والخلافات السياسية نشأت المذاهب الفقهية الأربعة، فظهر الخلاف الفقهي بينهم، والفقه مبني على النصوص الشرعية، والنصوص الشرعية باللغة العربية، واللغة العربية تحتمل أكثر من تأويل، وأكثر من معنى، ومن هنا نشأت المذاهب الفقهية والتي تبلورت في المذاهب الأربعة "الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي"، ويجوز الأخذ بالمسائل الفقهية من مذاهب مختلفة، طالما كان ذلك مبنياً على دليل شرعي وقناعة راسخة لدى الشخص، ولا يجوز الزام الشخص باتباع مذهب على وجه الخصوص -الا العموم ومن ليس لديهم المعرفة والدراية بالعلوم الشرعية- فالأخذ بالمسائل الفقهية من مختلف المذاهب يجب أن يكون مستنداً إلى دليل شرعي واضح من الكتاب والسنة، والأمر الآخر -وهو مهم- وهو أن يمتلك الشخص علماً بالعلوم الشرعية جميعها وبفقه المذاهب المختلفة ليتمكن من الإختيار والتمييز، وليس لمجرد الرغبة، أو المخالفة، أو الانتصار، أو للفتنة، أو لاتباع الهوى، أو التساهل، أو اللعب بالدين، ولذلك أنا لا أتبع مذهب بحد عينه في الأمور الفقهية، بل أخضع كل مسألة في حياتي للقرآن أولا، ثم السنة ووجهة نظر المذاهب والفقهاء فيها، ثم أنتخب ما يطمئن إليه قلبي وعقلي، ولا أنجرف خلف التقليد الأعمى).

المسؤول: "ماشي.. طيب انت بتنتمي لطائفة معينة؟".

العبد الفقير لله: "لا.. أنا لا أنتمي ولا لأي طائفة، أنا مسلم وفقط، واسمحلي أسئلك سؤال؟".

المسؤول: "أتفضل".

العبد الفقير لله: "هل الوحي -عليه السلام- عندما نزل على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- بالرسالة عرّف عن نفسه أنه سنّي؟"

المسؤول: "لا".

العبد الفقير لله: "هل النبي -عليه أفضل الصلاة والسلام- عرّف عن نفسه أنه سنّي؟".

المسؤول: "لا".

العبد الفقير لله: "من الذي صنع هذه المسميات؟".

المسؤول: "الناس".

العبد الفقير لله: "صحيح.. الرسول لم يقل أنه سنّي، ولا شيعي، ولا زيدي، ولا اباضي.. ولاغيرها، بل عرّف عن نفسه أنه مسلم وفقط".

المسؤول بآذان صاغية: "آه والله".

العبد الفقير لله: "الرسول -عليه أفضل الصلاة والسلام- لم يقل -أنا سنّي- بل شاهدنا أفعاله السنية، ولم يقل -أنا شيعي- ولكنه جد الحسن والحسين، ولم يقل أنه حنبلي ولا حنفي ولا مالكي ولا شافعي، قال فقط أنه مسلم.. أليس كذلك؟".

المسؤول بذهول: "صدقت وربي".

العبد الفقير لله: "اذن.. كل هذه المفترقات صنعت على يد الإنسان".

المسؤول: "ميّة بالميّة... يعني إنت لا تنتمي ولا لأي مجموعة أو طائفة أو مذهب؟".

العبد الفقير لله: "أنا مسلم وفقط.. ولكني صوفي".

المسؤول بجنون: "مانت هسّة حكيتلي انك ما بتنتمي ولا لإشي!! هيّك طلعت صوفي؟!".

العبد الفقير لله: "لا تعصب.. ايش مفهومك للصوفيّة بالأول؟".

المسؤول: "طائفة أو فرقة إسلامية".

العبد الفقير لله: "لا.. هناك مفهوم مغلوط حول الصوفية".

المسؤول: "مهية مليون فرقة!!".

العبد الفقير لله: "مزبوط.. الصوفية طرق كثيرة، تقريبا ٣٦ طريقة".

المسؤول بفرح: "ها... شايف".

العبد الفقير لله: "اصبر شوي.. مفهوم الصوفية تم تشويهه على يد بعض الفرق الصوفية

أنفسها، وكمان على يد الطوائف والفرق الأخرى".

المسؤول بتنهد: "طب شو هيّة الصوفية من وجهة نظرك؟".

العبد الفقير لله: "الصُّوفِيَّة أو التَّصَوُّف يتم التعريف عنه على أنه مذهب إسلامي، لكن وفق وجهة نظري الصوفية ليست مذهبًا، وإنما هي حالة، وهي أحد مراتب الدين الثلاثة "الإسلام، والإيمان، والإحسان"، والصوفيّة اهتمت بتحقيق المرتبة الثالثة، ألا وهو مقام "الإحسان"، ويكون ذلك بتربية النفس ومراقبة السلوك وتطهير القلب، كما اهتم "الفقه" بتعاليم شريعة الإسلام، وعلم "العقيدة" بالإيمان، فإن الصوفية اهتمت بأن تحرق حب الدنيا وكل مغرياتها أمام حب الله).

المسؤول متعجباً: "يا شيخ!!! هناك شطحات عند الصوفيّة وصلت حد الكفر؟! وانت جاي بتقولي إنك صوفي!!!".

العبد الفقير لله مُعللاً: (هناك ضلالات كبيرة تتمثل في حركات ومظاهر وأعمال بعض الفرق الصوفية كالرقص، واعتقاد العصمة لبعض مشايخهم، ومنهم وصل الى الشرك في تفضيله الولي على النبي، ومنهم من تغالى فجعل الولي مساوٍ لله في كل الصفات، ومنهم من يعتقد أن الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- هو قبة الكون، كما ظن "ابن عربي" ومن تبعه، ومنهم من يزعم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه كان جاهلًا بعلوم رجال التصوف، كما نقل عن البسطامي "خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله"، والأخطر من ذلك وهم الذين يؤمنون بعقيدة الحلول والاتحاد، وهو مبدأ الواحدية " Monism " المونومية، وفحواها أن الخالق عين المخلوق، والمخلوق عين الخالق، وأن الله متحد بالكون وبمخلوقاته).

المسؤول: "شايف... مليانين كفر يا شيخ!! وأنا بعرف عنهم وشفتهم شو بعملوا في واحد من مراكزهم تلانا... وأنا بقلك يا شيخ -وخصوصا إنك وسطي والكل بحبك- دشرك منهم، هذول مجانين!!".

العبد الفقير لله: (هؤلاء متصوّفة وليسوا صوفيّون، الصوفيون الحقيقيون لا علاقة لهم بهذه الطقوس وهذه الافكار التي ذكرتها؟! من أهم اعلام الصوفية "الحسن البصري، والفضيل بن عياض، وابو يزيد البسطامي، والإمام الجنيد، وغيرهم الكثير" والذين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، لكن الصوفيين هم سنّة في الحقيقة إن أردت التسمية الحقيقيّة لهم! وأتمنى عدم تسميت الأشياء بغير أسمائها، والتلاعب بالعقول، والسخرية بالكلمات، وزرع الفتنه بين المسلمين، واذا أردت البحث والنبش في جذورهم، اسأل الإمام "الجنيد، والحسن البصري، وابن سيرين، وداود الطاءي، ومعروف الكرخي، وعبد السلام ابن مشيش، وأبو الحسن الشاذلي والقاءمة

تطول"، هؤلاء هم اللب سلوهم عن التصوف؟! ستحظى بالإجابة من طنايا سيرتهم العبقة وأخلاقهم الرفيعة وعلومهم الغزيرة، التصوف يا عزيزي علم يفوق ما تعرفون! فلا تهرفون بمالا تعرفون! الشيخ الرباني من الصوفيين الحق عندما يتكلم فإنه يأخذ قلبك ويسافر به الى الله، وتشعر بالبون الواسع بينه وبين ما نسمعه على المنابر، ونصيحتي لكل مسلم أن لا يقحم نفسه في سب أهل التصوف الحقيقيين لا المزيفين -وما أكثرهم- وهنا هو الاشكال الكبير والسؤال: "كيف نفرق بين الربانيين والمبدعين منهم؟"، هذا الموضوع يطول شرحه، لأني عندما أقرأ الناس يتضح لي أن فهم التصوف لديهم منعدم تماماً!).

المسؤول على مضدد: "بجوز".

العبد الفقير لله: "شو رأيك بالبوطي؟".

المسؤول: "البوطي علّامة.. فش عليه حكي من ناحية الدين".

العبد الفقير لله: (البوطي قال بالحرف عن الصوفية: "التصوف ليس بعلم، ولكن حال يصطبغ بها القلب فيفيض بحب الله فيحرق حب الدنيا"، شو رأيك عاد؟).

المسؤول: "معقول.. البوطي قال هيك؟!".

العبد الفقير لله: "صحيح.. البوطي قال هيك".

المسؤول: "قد يكون.. احنا بجوز ماخدين النظرة الحالية عنهم" .

العبد الفقير لله: "هل تعلم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو سيد المتصوفين، وان لم يكن مصطلح التصوف في وقته قد صكً، وهل تعلم أن الصحابة من بعده كانوا متصوفين أيضاً، وان لم يستعموا كلمة التصوف".

المسؤول: "شو هالكي... يا شيخ!!".

العبد الفقير لله: (كان التصوف في صدر الاسلام مسمى لا اسم له، ثم اصبح اليوم اسما لا مسمى له، وما اكثر الفرق الصوفية التي انحرفت، ودخلت في البدع، واليوم لا يفهم المتصوفين من التصوف رائحته!! الصحابة كانوا متصوفين، ولكنهم منضبطون بكتاب الله والسنة، وكانوا يحيدون عن البدع، وسأقولها لك بالخط العريض: "باختصار.. لما غيّب التصوف عن المسلمين، ساءت الحال وتدنت الأخلاق، والله المستعان").

المسؤول: "يعني ممكن يكون كلامك في جزء من الصحّة.. بس بضل في شوائب عليهم وحوليهم".

العبد الفقير لله: "اذا بتطلّع على المسلمين اليوم في الشارع والشغل والبيت وفي أي مكان بتكفر بالاسلام من أفعال وأقوال المسلمين!! مزبوط والا لا يا عزيزي؟".

المسؤول: "والله يا شيخ مزبوط.. احنا مسلمين بالاسم بس".

العبد الفقير لله: "عشان هيك.. اذا بدك الاسلام الحقيقي بتروح للمنبع.. بتوخدو من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الذي كان خلقه القرآن.. صح والا لا؟".

المسؤول: "مليون صح والله يا شيخ".

العبد الفقير لله: (وأنا بحكيلك.. اذا بدك التصوف صح، دوّر عليه عند "أبو الجنيد البغدادي" والذي كان صوفياً، بل ويُعتبر الجنيد البغدادي من أبرز وأشهر الصوفيين في التاريخ الإسلامي، ويُلقب بـ "سلطان العارفين" و "شيخ العارفين، وكان عالماً وفقيهاً ومتصوفاً، وله مكانة كبيرة في علم التصوف، حيث يُنسب إليه تطوير العديد من المفاهيم الصوفية، وكان ملتزماً بالكتاب والسنة، وحاله كما حال "عبد القادر الجيلاني" الذي كان صوفياً هو الآخر، وهو مؤسس الطريقة القادرية الصوفية، وهي واحدة من الطرق الصوفية السنية البارزة، وكان ملتزما بالكتاب والسنة).

المسؤول: "ان شاء الله راح أعيد النظر في المسألة، وأقرأ عنهم أكثر".

العبد الفقير لله وقد هممت بالخروج: "قبل ما أطلع.. الصوفية باختصار هي حال المؤمن مع الله، التصوف ليس علما وإنما حال، هي حال القلب مع الله سبحانه".

المسؤول وقد ازدلف لصداقتي ختام زيارتي له: "عيدها يا شيخ.. ولا تحرمنا من شوفتك".

العبد الفقير لله: "ان شاء المولى.. سلام عليكم".

حين غادرت مكتبه، داهمني خاطر غائر، فامطتيت عقلي وخرجت به خارج حدود الجغرافيا، وكنت سعيد بمغادرة هذه المقبرة.

كنت أشبه بأثير، لا يوجد جسد فيزيائي لي، ولكن كنت أعي تماما أني أنا، وادراكي بالكامل كان كسحابة يطير معي أينما سبحت، كنت أطير بسرعة فائقة، واذا كانت سرعة الضوء (والتي يُرمز لها عالميًا بالرمز "c") تبلغ في الفراغ 299,792,458 مترًا في الثانية، وهي تعادل تقريبًا ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية أو ١٨٦,٢٨٢ ميلًا في الثانية -وهي أقصى سرعة يمكن لأي شيء مادي أو طاقة أن يتحرك بها في الكون- إلا أنني كنت أشعر أني تجاوزت هذه السرعة بمسافات فلكية!

سبحت في قطر الكون المرئي، والذي يبلغ حوالي ٩٣ مليار سنة ضوئية، فمررت بالمجموعة الشمسية "عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، أورانوس، نبتون"، بالإضافة إلى الكواكب القزمة، والكويكبات، والمذنبات، والأقمار، والوسط بين الكوكبي من الغبار والغاز، ثم تجاوزت مجرتنا درب التبانة (The Milky Way) الى المجموعة العنقودية الاولى، أو ما يعرف عنها بعلم "Cosmology" وعلم "Astronomy" بالمجموعات العنقودية النجمية "مثل العناقيد المفتوحة أو المغلقة"، أو عنقود الثريا في علم الفلك، أو حتى سلالة أولى من البكتيريا مثل المكورات العنقودية الذهبية (Staphylococcus aureus)

تجاوزت التجمعات والعناقيد النجمية، ثم تجاوزت المجموعات والعناقيد المجرية، ولا أعلم كيف ولجت في قلب فراغ أسود عظيم! ليس له أبعاد، ولم يكن يتواجد فيه أي نوع من المادة أو الفيزياء، توقف فيه الزمكان، كان أشبه بنفق عظيم، تجمّد أثيري فيه ونصت!

قيل لي ما قيل هناك، ومن جملة ما قيل لي: (جميع المسلمين يظنون أن هناك فرقة ناجية واحدة فقط، والذي يدعي هذا هم "السنة والجماعة"، حيث يستشهدون بحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :"افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"، قيل: "من هي يا رسول الله؟"، قال: "من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي"، وفي بعض الروايات :"هي الجماعة"، وينسب أهل السنة والجماعة هذا الحديث لأنفسهم، مع أنه لا يوجد فرقة ناجية؟! ولا يوجد فرق يوم القيامة من الأصل؟! وإنما فرد، فقال تعالى: "كلهم آتيه يوم القيامة فردا"، لا يوجد فرق، ولا جماعات، ولا مذاهب، ولا طوائف، ولا طُرق، ولا حركات، ولا أحزاب، ولا مجموعات، ولا فصائل، قال تعالى: "يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون"، ولا يوجد حبيب، ولا قريب، ولا صاحب، ولا صاحبة، ولا ولد، ولا زميل، ولا زوجة، ولا أم، ولا أب، ولا أخ، ولا أخت، ولا عم، ولا عمة، ولا خال، ولا خالة، ولا جد، ولا جدة، قال تعالى: " يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ"، وفي قراءة أخرى قال تعالى: "لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعنِيهِ"، وقال تعالى: "يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ"، لا يوجد هناك فرقة ناجية يا محمد كبها!! وليعد العدّة كل فرد على هذه المائدة لنبش الصور المصفوفة، والذكريات الهاربة، والسرائر النتنة).

وإذا بذلك النداء ينبعث في روحي كصورة، وبنفسي كشعور، وبعقلي كفكرة تقول: "عد من حيث أتيت.. موعدنا معك ليس الآن..لاحقاً يا محمد".

لا أعلم كيف خرجت من هذا الفراغ، وكأن هناك بوابة زمنية! أو ثقب امتصني لداخله ثم استفرغني على غفلة مني؟! لا أعلم كيف ومتى وأين وماذا؟

عدت أدراجي بين أقطاب الكون أسبح وأهذي: (أنا أؤمن بالعلم "الفيزياء النظرية"، "ميكانيكا الكم"، ولكني لا أؤمن بالسفر عبر الزمن! أو بالعبور فوق جسر أينشتاين روزين (EPR) ! فكلها نظريات وتخيلات لم تُرصد بأي طريقة علمية الى هذه اللحظة، ولذلك اعتقد أن أَلْبِرْت أيْنْشتاين "Albert Einstein" صاحب النسبية العامة والخاصة فلسف العلم، حاول أن يفلسف الزمان والمكان! والسفر عبر الزمن ما هو إلا محض خيال، ولذلك ألف الكاتب الإنجليزي المعروف "هربرت جورج ويلز H. G. Wells" روايته الشهيرة "آلة الزمن" وهي في مجال الخيال العلمي، وتتناول رحلة مخترع عبر آلة زمن إلى المستقبل البعيد.. كله خيال).

وإن كنتم تسألوني: "وماذا تفسر ما حدث معك؟"

أجيبكم: "لا أعلم".

ظلت روحي تسبح في عماء الكون حتى انتهيت الى شاطئ البيت، فتحت الباب وكانت أنفاسي مرتهنة في قبضة سريري، ألقيت بجسدي الجائع فوقه، ولا أعلم كيف غططت في النوم؟!

على الساعة الخامسة نبهتني زوجتي -حفظها الله- حيث كان لدي موعد مع ثلة من الساسة لمناقشة مستجدات حرب السابع من أكتوبر على أهلنا في قطاع غزة.

حملت نفسي علة وجه السرعة، وعندما وصلت الى مكان انعقاد الجلسة كانوا يتلاصقون على هيئة سلسلة بشرية حول الطاولة، قام احد الذين دعوني -وهو عضو في منظمة التحرير الفلسطينية- بالإضافة الى أنه كاتب وعضو في الإتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، بتعريفي على الجالسين وهو يُعاين وجنتي، ثم نفض وجهه: "حالق لحيتك!؟".

العبد الفقير لله: "آه... حلقتها".

المسؤول: "نعيما... يا زلمة هيك أحلى بمليون مرة".

العبد الفقير لله: "شكرا يا عزيزي".

المسؤول: "أيوة هيك.. بلاش يفكروك منهم؟".

العبد الفقير لله: "مين قصدك؟".

المسؤول: "منت عارف عن مين بحكي! ولووو!!! ".

العبد الفقير لله: "منت عارف اني ما بنتمي ولا لحدا".

المسؤول: "أنا بعرف انك مستقل.. وما بتنتمي ولا لحدا.. وبعرف انك وطني.. وبعرف انك شريف وقلبك عفلسطين.. بس همو كانوا شاكين فيك بسبب الكتاب تبعك -السابع من أكتوبر "بداية اللعنة"- بس لما قرؤوا انو مُعرّف عنك فيه انك -مفكر اسلامي- قالولي بدهم يناقشوك ويتحاوروا معاك".

العبد الفقير لله: "أنا جاهز للنقاش".

كان منهم سياسي فلسطيني معروف، يبلغ السبعين من العمر، وعضو بارز في حركة فتح ومسؤولا عنها في احدى مناطق الضفة، كان يمسك بيده كتابي (السابع من أكتوبر "بداية اللعنة") وينظر إليه بنفور من تحت نظارته، وما أن جلست حتى قال لي باستعلاء: "انت صاحب هذا الكتاب؟".

العبد الفقير لله: "نعم.. أنا صاحبه".

السياسي: "كنت ما بدي أناقشك، لإني ما بناقش الاسلاميين -حماس، تحرير، أو أي حزب اسلامي، أو أصحاب اللحية- بس لما قرأت وصفك -مفكر اسلامي- واطلعت على سيرتك الذاتية وسألت عنك، تأكدت إنك إنت وطني، وإنك شريف، وإنك ملم بالعلوم والفلسفة، ولا تنتمي لأي حركة أو فصيل فلسطيني، فقررت إني أناقشك، والا أنا ما بناقشهم هذلاك.. وخصوصا تبعون اللحية".

العبد الفقير لله: (أول إشي.. اليوم الأزعر صار يربي اللحية.. معظم حثالة الأرض الأيام هاي بربّو اللحية.. حتى الكفار صار يطلقوها ويربوها، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خالفوا المشركين، وفروا اللحية، وأحفوا الشوارب"، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "جزوا الشوارب، وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس"، وفي مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعفوا اللحى، وخذوا الشوارب، وغيروا شيبكم، ولا تشبهوا باليهود والنصارى"، فإذا كان إطلاقها يراد به مخالفة باليهود والنصارى لأنهم كان لا يرخونها، ففي زماننا انقلبت الآية، وأصبح اليهود والمسيح والمجوس والكفار يرخون اللحي، فمن السنة ولمخالفتهم يجب علينا حلق اللحية وإعدامها!! أليس كذلك يا دكتور؟".

السياسي بأعين مصوّبة نحوي، شدّ جسمه وشلح نظارته: " صحيح.. اللحية مش مقياس، وشكلك متمرّس ومتمكّن!".

العبد الفقير لله: "مش انت اطلعت على سيرتي الذاتية، وحكولك عني اني ملم بالعلوم والفلسفة.. هاي بالنسبة للحية، أما بالنسبة للسياسة فأنا فلسطيني وفقط، وكل فصيل بالنهاية كان همه الوطن، تختلف الايديولوجيا السياسية ووظائفها وطرقها لكل حزب، ولكن الكل قدم الغالي والنفيس لفلسطين.. ودعنا ندخل في النقاش".

السياسي وهو يقلب صفحات كتابي: "ليش سميت كتابك بهذا الاسم؟ وشو قصدك ببداية اللعنة؟!".

العبد الفقير لله: (لقد عنونت كتابي الى عنوانين: "عنوان رئيسي، وعنوان فرعي"، أما العنوان الرئيسي وهو "السابع من أكتوبر" عنونته بهذا الإسم لأن علو بني اسرائيل الثاني والأخير يتحقق الآن في هذا التاريخ، وليس كما يعتقد المعظم أنه في عام ١٩٨٤م أثناء قيام ما يسمى بدولة إسرائيل، وأما العنوان الفرعي وهو "بداية اللعنة" عنونته بهذا الإسم لأن دولة اسرائيل لعنت على لسان مؤسسها الأول، وهو سيدنا داوود عليه السلام، حيث قال الله تعالى في كتابنا الكريم: "لعن الذي الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى، ذلك بما عصو وكانوا يعتدون").

السياسي مكشراً عن أنيابه: "معقول.. مش ب ١٩٨٤م؟! وايش اللي خلّاك تعتقد هيك يا حضرة المفكر؟!".

العبد الفقير لله: "لأن العالم كله شهد إفساد بني اسرائيل في هذا التاريخ -السابع من أكتوبر- وانكشف الوجه الحقيقي لهم للعالم بأجمعه".

السياسي ناقداً: "مهو افسادهم في عام ١٩٨٤م مش طبيعي!! وكان عام نكبة على كل الفلسطينية، وأظن انك مضطلع على التاريخ الفلسطيني، فليش اخترت السابع من اكتوبر هوة اللي أظهر حقيقة افساد اليهود، وعام النكبة ١٩٨٤م كان الإفساد فيه شبيه تماما باليوم!! وهدّو دورنا وقتلونا وتشردنا ونزحنا؟!".

العبد الفقير لله: "بكل بساطة لإنو العالم ما شهد الإفساد".

السياسي بعصبية: "كيف ما شهد؟! كل العالم بتحكي عن النكبة، والنكسة؟!".

العبد الفقير لله: "بتحكي عنها.. لكن ما شافتها بث حي ومباشر! في فرق عظيم".

السياسي: "وضح أكثر؟".

العبد الفقير لله: (التكنولوجيا يا دكتور.. الإنترنت ووسائل الملتيميديا ومواقع التواصل الاجتماعي هية السبب، زمان ما كان العالم يعرف الحقيقة الوسخة لليهود لإنو ما كان فيه تقدم

بوسائل الملتيميديا ومواقع التواصل الاجتماعي، ولو سألت أي حدا في العالم من العموم عن النكبة والنكسة بحكيلك "بعرفهاش.. وما سمعت فيها".. يا دكتور إسم بلدنا -فلسطين- في ناس كتير ما كانت تعرفها ولا تسمع فيها! ولكن وبسبب الإنترنت ووسائل الملتيميديا ومواقع التواصل الإجتماعي المرئية، الناس شافت كل المذابح والمجازر من قتل النساء والأطفال والشيوخ والشباب، دخلت هاي المشاهد كلها عبر الهواتف الذكية لكل بيت في العالم من خلال الإنترنت ووسائل الملتيميديا ومواقع التواصل الاجتماعي، وشاهدت الناس الحقيقية البشعة والوجه القذر لهذا الاحتلال اللي كانت تخبّيه عنهم لسنوات عديدة.. والآن ما في بيت الا بعرف عن فلسطين، وعن المناظر اللي لا يمكن ان يتخيلها أي انسان على وجه الارض، وهذا الفضل كله يعود الى شعب غزة والمقاومة فيها).

السياسي: "يا مفكر محمد.. إنت مصدق اللي صار؟".

العبد الفقير لله: "كيف يعني؟".

السياسي: "اسرائيل دولة متقدمة تكنولوجيا! يعني على بعد أمتار من الجدار أو الشيك بتكون راصدة التحرك، وباعته قوة إلها اول ما إلها آخر.. كيف فاتت المقاومة! ودخلت! وأسرت! وقتلت! بدون ما يحس أي حدا من الجيش؟! يا زلمة هاي لعبة.. اسرائيل عارفة كل اشي.. وهية اللي عملت الفخ هذا، والمقاومة سقطت فيه بكل أسف، وجرتنا الى هاي المرحلة الصعبة ولحرب بالضفة كمان!! والهدف منها انهاء السلطة والمؤسسات ومنظمة التحرير والوجود الفسطيني".

العبد الفقير لله: "كم عدد الحروب التي اجترحها الإحتلال النازي بحق غزة؟".

السياسي: "كثيرة".

العبد الفقير لله: (سبعة حروب.. الحرب الأولى على غزة، في معركة الفرقان عام "٢٠٠٨م" والحرب الثانية على غزة، في معركة حجارة السجيل عام "٢٠١٢م" والحرب الثالثة على غزة، في معركة العصف المأكول عام "٢٠١٤م" والانتفاضة الثالثة في القدس عام "٢٠١٥-٢٠١٦م" وفي الحرب الرابعة على غزة، في معركة صيحة الفجرعام "٢٠١٩م" وفي الحرب الخامسة على غزة، في معركة سيف القدس عام "٢٠٢١م" وفي الحرب السابعة على غزة، في معركة الفجر الصادق عام "٢٠٢٢م"، سؤالي لك أيها السياسي: "هل كانت أي يد للمقاومة في هذه الحروب؟).

السياسي: "صحيح".

العبد الفقير لله: "اذن... معركتهم على غزة قبل السابع من أكتوبر!!".

السياسي: "ماذا تقصد؟".

العبد الفقير لله: "لو لم تفجر المقاومة السابع من أكتوبر، لفجر الإحتلال مجزرة ثامنة في غزة دون أي سبب.. أتعلم لماذا؟".

السياسي: "لماذا؟".

العبد الفقير لله: "لأن معركتهم ليس مع فصيل بعينه.. ولا مع أشخاص بعينهم.. بل مع الفلسطيني..أنت فلسطيني، يعني أنت مستهدف، بغض النظر عن الدين أو الحزب أو الفرقة أو المنصب أو الفصيل".

السياسي: "من أين جئت بهذه الرواية؟ وما أدراك أن الاحتلال سيفعل ذلك؟".

العبد الفقير لله: "بكل بساطة.. ما علاقة الضفة بغزة؟".

السياسي: "الى ماذا ترمي؟".

العبد الفقير لله بوضوح: "اسمح لي أن أتكلم بصراحة أكثر".

السياسي: "تفضل".

العبد الفقير لله: "غزة تحكمها فصيل.. والضفة يحكمها فصيل آخر.. لو قلنا أن ما حدث في غزة هو ردة فعل طبيعي من الإحتلال بسبب عملية السابع من أكتوبر التي أشعلتها المقاومة، ما علاقة الضفة بكل ما يحدث؟".

السياسي: "نحن كيان واحد.. طبيعي أن تصلنا يد الإحتلال".

العبد الفقير لله: "كلا نحن لسنا يد واحدة.. والضفة باعت غزة، ولا أستثني أحداً منكم، ولا أستثني نفسي منكم، شباب الضفة يتسكعون في الشوارع، والنساء يدخن الأرجيلة في أفخم مقاهي الطيرة في رام الله! هذه هي الحقيقة.. فلا تقل لي أننا جسد واحد".

السياسي: "هم أشعلوا الحرب.. وقضوا على شعب غزة بأيديهم".

العبد الفقير لله: "كلا.. الاحتلال ينفذ خطته التي رسمها قبل عشرات السنين.. وهي تطهير أرض فلسطين من سكانها، ولا يوجد علاقة للفصيل أو الحركة بما يحدث في السابع من أكتوبر، والدليل ما يحدث الآن في الضفة من أسر للعامة، وقتل بدون سبب، ومصادرة الأراضي، ونصب الحواجز، وتقطيع القرى والمدن في الضفة".

السياسي: "انت مصدق انهم اقتحمو؟! يا رجل هادي لعبة! اليهود كانوا عرافين وشايفين، بس

همي سمحولهم يعملو اللي يعملو مشان يكون ذريعة الهم للقضاء على المشروع الوطني!! ونجحوا بذلك".

العبد الفقير لله: "كلا.. هذه خطة مدروسة، كانت تعلم المقاومة أن الاحتلال الصهيوني سينفذ مشروع التطهير، فسبقوهم بخطوة، ولم تغمرني السعادة في حياتي كما غمرتني في هذا التاريخ".

السياسي: "أي سعادة؟! الشعب في غزة مات، وجاع، وانمحت البلد بأكملها".

العبد الفقير لله: "بسبب تخاذل الأنظمة العربية والإسلامية.. وبسبب تخاذل الشعوب التي اشترت الحياة، وفضلت الدنيا على الآخرة".

السياسي: "الأنظمة باعتنا.. هذا مؤكد".

العبد الفقير لله: "الذي قتل أهلنا في غزة، وجوّع أطفالهم، هي الأمة العربية والإسلامية أنظمة وشعوباً -الا من رحم ربي منهم- وهم القلة التي نهضت من أجلنا".

السياسي: "سنرى من الذي جوّعهم حقاً؟! هل هي الأمة العربية والإسلاميّة، أم حزب حماس الإخواني والقائمين عليه؟".

العبد الفقير لله: (لو كانت هذه العجوز مؤمنة، ما تركت عروسها تغتصب! ان النصر لا يأتي إلا في معركة! وليس من على المنابر! ولا من داخل المساجد ورفع أكف الدعاء فقط! وليس من وراء الشاشات والحاسبات والقنوات الإخبارية! ولا في مواقع التواصل الاجتماعي - الفيسبوك والتيك توك- بل في معركة!! لذلك المقاومة ضرورة، لأن الله سبحانه في الآية تَأَذَّنَ أن يبعث على اليهود من يقاومهم ويذيقهم سوء العذاب الى يوم القيامة، قال تعالى: " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"، وهذا لا ينطبق إلا على المجاهدين في غزة فقط، ولن يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم من الحكام والشعوب ولو كان العالم بأسره، لأن الله لن يتركهم وسينصرهم بإذنه، فلقد قال تعالى في سورة ال عمران الآية ١٦٠: "إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"، لذلك قيامة "بني صهيون" في فلسطين، وفلسطين ستكون مقبرتكم للمرة الثانية والأخيرة إن شاء الله، ولكي أكون واضحا أن المقاومة ليست الفصيل فلان فقط، وانما تلك المرأة التي انزلق كبدها، والرجل الذي طار رأسه في سبيل الحصول على كيس طحين، والطفل الذي مات جوعاً وهو يتوسل هذه الأمة الساقطة في طلب كسرة خبز، وذلك العجوز الذي رفض النزوح وقصف داخل جدران بيته، وفي النهاية أقول لك أيها السياسي: "إن المقاومة هي تعبير أحرار العالم بالرفض لهذا الاحتلال

الصهيوني، سواء كان بالتظاهر والمسيرات، أو بمقاطعة المنتجات الصهيونية ومن يدعمها، أو بالندوات والمحاضرات، أو بالفلكلور والغناء، أو بالرسم، أو بالفكر، أو بالقلم، أو بأي أداة يجيدها هذا المقاوم الحر حتى لو كانت كلمة، ولكن في نهاية المئال ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة).

السياسي وهو يساق الى مثواه الأخير: "نعم.. في النهاية لن تتحرر فلسطين إلا بالقوّة، فهذا عدو غاشم لا يفهم الا لغة الدم والقتل والمجازر والإبادات، وكما مارس أدولف هتلر فيهم الإبادة النازية لليهود أو الهولوكوست، وها هم يمارسون الإبادة الصهيونية لغزة، أو الهولوكوست ولكن هذه المرة في شعب غزة الأعزل".

العبد الفقير لله: (لقد علّمتموني أيها السياسي في المدرسة أشياءً كثيرة، فأعطيتموني ذكريات لوطن لم أره بعد، وولاء لحاكم لا يمكنني أن أخدمه، وحباً لطفل فلسطيني لم أستطع أن أنقذه من أنياب حيوان أمريكا التي أنشبها في جسده وغرسها في حلمه، وفي المقابل علمتني غزة درساً لا يمكن أن أنساه.. درساً في الإيمان والأخلاق لم أتعلّمه في كل كتب ومحاضرات ومقررات العالم!! إن الحرب على غزة جعلتني أكتفي بأشياء صغيرة وأرضى بها، كالعيش في بيت بالآجار، أو بنصف مرتب، أو في غرفة واحدة أضم بها عائلتي، أو بحاجز عسكري غير مكتظ، أو في صحن زيت وزعتر ، ولكن في نهاية المآل لا يصح الا الصحيح، "فهناك رصاصة صهيونيّة، استقرّت بجسد مسيحية، وشُيّعت على أكتاف إسلاميّة.. ولم يحدث ذلك إلا في فلسطين، لم يحدث إلا في جنين، ولم يحدث إلّا مع شيرين" ، ألم تُقتل الصحفيّة "شيرين أبو عاقلة" في سبيل الكلمة، والرصاصة التي قتلت شيرين المسيحية هي الرّصاصة ذاتها التي قتلت "دلال المغربي" المسلمة!؟ وهي الرّصاصة التي قتلت أحد أشهر قادة فتح وقائد مخيم جنين وهو العم أبو جندل "يوسف أحمد ريحان كبها" قائد معركة مخيم جنين، وهي عينها الرصاصة التي قتلت أحد أشهر قادة حماس "المهندس يحيى عياش" مهندس المتفجرات!؟ هي الرصاصة التي قتلت ابن غزة، وهي ذاتها التي قتلت ابن الضفة!! وهي ذاتها التي قتلت المؤمن، وهي بعينها التي قتلت الشيوعي والملحد!! هي الرصاصة التي قتلت الرجل المسن "توفيق أبو العوف" والذي يبلغ من عمره ال ٨٠ عاما!؟ وهي نفسها التي قتلت الرّضيعة "إيمان حجّو" والتي تبلغ من العمر أربعة أشهر!؟ أليست هي من قتلت الأجنة في بطون أمهاتهم في هذه الحرب على غزة؟! وبما أنك سياسي، أذكرك بالسياسي و الثوري والزعيم "نيلسون مانديلا" رئيس جنوب أفريقيا، والذي كتب مرة يقول: "العبيد فقط من يطلبون الحرية، بينما الأحرار يصنعونها"، ونحن الفلسطينيون أحراراً ولسنا عبيد، وكل يوم يولد فينا شهيد... إنها معركة الوجود، لذلك لا تغفل أيها السياسي ولا تنسى أنك ثائر قبل أي شيء، وأنك شهيد على قائمة الانتظار).

كانت أعين المسؤول الذي دعاني تنسل عبر المسافات الهوائية الى وجنتي لأقرأ فيها السعادة والسرور بالنقاش، كان وقت اذان المغرب قد همس في أذني، فأدرت النظر للجالسين حول الطاولة جميعا، وكانت أعين السياسي ترتمي بعيدا، واستأذنت الجميع بالرحيل لكي ألحق بصلاة المغرب: "سررت بالحديث معكم.. والى لقاء قريب".

ما أن وقفت على قدمي حيث تنتهي صفحة من حياتي هنا، وتنطلق أخرى هناك حتى نزل الآذان رهاما على جسدي، أطلقت قدماي للريح نحو أي مسجد هرباً من غُلَواء الزمن، فالصلاة تهدّئ منها، وقفت بين يدي الله عز وجل، وما أن تدفقت كلمات الله سبحانه من فم الإمام حتى غادرت روحي جسدي المتعب نحو نافحها ونافخها، وما أن انتهت الصلاة حتى عادت روحي الى جسدي من زواربه الضيقة، وحبست في ظلامه.

عند انتهاء الامام من صلاة المغرب، وقف لإعطاء درس بحنجرته الملتهبة: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على قائد الغُرِّ المحجَّلين نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها الإخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَن لم يأخذ من شاربه فليس منا"، وهذا وعيد، وفي روايةٍ: "مَن لم يأخذ شاربه فليس منا"، يعني: يقصّه، لذلك ثبت عنه إعفاء اللِّحى وتوفيرها وإكرامها، وقصّ الشَّارب، لقوله ﷺ: "قصوا الشوارب، وأعفوا اللحى"، وفي اللفظ الآخر: "جزوا الشَّوارب، وأرخوا اللِّحى، خالفوا المجوس"، وفي "الصحيحين: "قصوا الشَّوارب، ووفروا اللِّحى، خالفوا المشركين"، فالواجب على كل مسلمٍ أن يُراقب الله في هذه اللِّحية، لأن الكثير عادوها، وحلقوها، وقصوها، لذلك وجب التحذير، ووجب أن نتَّقي الله، وأن نمتثل لأمره ﷺ بإعفائها وإرخائها وعدم أخذ شيءٍ منها؛ اللحية وقار الرجل ، وفيه نختلف مع النساء ولا نتشبه بهن.. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم).

استدرار الغضب في جسدي، وقلت لنفسي: (ليس هذا مسلك رسول الله ﷺ، ولا هذا منبره ﷺ، الذي كان يبحث فيه عن أحوال العامة ويتطرق الى مجريات الحدث أولا بأول!! لماذا لا تحكمون وتتحدثون على عرق الناس وآلامهم وعلى دماء أهلنا في غزة؟! يتكلم المشايخ والدعاة وعلماء المسلمين عن الحيض والنفاس وحف الشارب وإعفاء اللحية وحلق شعر الراس، ولا يتكلمون في المجازر والإبادات التي تحدث على أرض هاشم يومياً خوفاً من السلطان؟! كما أن هؤلاء المشايخ والدعاه والعلماء والفقهاء نمطيون، ينظرون الى الفقه من زاوية واحدة فقط، ولا يتطرقون إلى أي زاوية أخرى أو أي علوم أخرى؟! هؤلاء هم مشايخ السلاطين والقنوات التلفازية ومواقع التواصل الاجتماعية!! ينشغلون فقط بالحلال والحرام وما أراده السلطان، ولا يعلمون التاريخ، ولا الجغرافيا، ولا السياسة، ولا حقول العلوم، ولا الفلسفة، ولا المنطق، ولا حتى ما يجري الآن على أهلنا في قطاع غزة!! والطامة الكبرى في

هذه الأمة المرحومة هي هذه اللحى!! وأنا أتسائل: "هل إطلاق اللحية يلغى Aeronomy؟ يلغى Agriology؟ يلغى Agronomy؟ يلغى Anesthesiology؟ يلغى Anthropology؟ يلغى Archaeology؟ يلغى Lexicology؟"، فضلا على احياء بقع من الآثار أكل عليها الدهر، وحفظها أولادنا أكثر من أسمائهم، وباتوا يتنازعون مع المشايخ والعلماء حول هذه القضايا الأصولية والفرعية دون أن يتم إخماد هذه النار التي شبت من طرف المتحدثين باسم الدين!! وما دام الخطاب الإسلامي يسير بنا الى الوارء، سيبقى في الوراء مالم نقفز به الى صفته العالمية!!).

لفظت السماء خيطها الأول من الليل، وخرجت من المسجد مهموماً محزوناً من خطاب اللحى الذين يعبثون بهذه الأمة وبهذا الدين، ويشعلون فتيل الفتنة بينهم ومع غيرهم"، إلا من رحم ربي.

في طريقي نحو البيت وأنا على مشارف الوصول، مر بمحاذاتي أحد الجيران، وكان ملتحياً ومواظباً على الصلاة في مسجد حيّنا، وعندما أبصرني دون لحية استمرت أعينه الذابلة تحدق في سحنتي وترفض ما شاهدته، فأطبق بفمه على كلماته وحبسها مكتفيا برمي السلام علي على عجالة: "السلام عليكم يا جار"، فرددت السلام: "وعليكم السلام"، وأكملت سبيلي حتى وصلت المنزل.

سلمت على أهلي، ثم اتجهت الى غرفة النوم، القيت بنفسي على سريري، ثم انثنيت بجانب مولودي كريم، وما هي إلا دقائق حتى غفوت اغفاءة قليلة، وفيها قفز إلى عقلي شبحي: (يا محمد.. كيف بلحى تتاجر باسم الله عز وجل، وبكلامه سبحانه بأشياء بسيطة وأغراض حقيرة؟ من هذا الذي يجرء على فعل ذلك! انهم أصحاب اللحى الذي يتكلمون باسم المقدس، ويظنون أنفسم معصومين لا يخطئون ولا يُناقشون؟! يبدعون باستهلاك الكلام، ولا يعبرون عن عمق ايمانهم بأنفسه وعقولهم، ويعيشون بوهم أنهم الأحق بالله تعالى، وان الله تعالى لهم وحدهم فقط، وأن الاسلام والقران ملكيه خاصه لهم! يتحكمون به في مصائر الناس كما يرغبون، فيدخلون من يشاءون في الاسلام، ويكفرون من ليس على هواهم! يا محمد.. لماذا لا أرضى أن تأكل عني، ولكن أقبل أن تفكر عني؟! يجب أن نفرق بين كلام الله تعالى وكلام البشر! وهناك سؤال يؤرقني دائماً يا محمد: "أصحاب اللحى أين هم عن "نيكولاس كوبرنيكوس" ونظرية مركزية الشمس؟ أين هم عن "ألبرت أينشتاين" ونسبيته الخاصة والعامة؟ أين هم عن "سادي كارنو، ورودولف كلاوسيوس، ويوليوس ماير، ووليام طومسون، وجيمس جول، وليونيد كاراتيودوري"ونظرية الديناميكا الحرارية؟ أين هم عن " جيمس كليرك ماكسويل" والكهرومغناطيسية؟ أين هم عن "ألفريد فيجنر" و نظرية الصفائح التكتونية؟ أين هم عن "لويس باستور، وروبرت كوخ " ونظرية الجراثيم للأمراض؟ أين هم عن "جورج لوميت،

وجورج جاموف" ونظرية الإنفجار العظيم؟ أين هم عن "غابرييل فينيزيانو، وليونارد سوسكيند، وهولجر نيلسن، ويوشيرو نامبو، إدوارد ويتن، ومايكل غرين، وجون شوارتز" ونظرية الأوتار؟ أين هم عن "هيو إيفرت، وماكس تيغمارك، وبراين غرين" ونظرية تعدد الأكوان؟ أين هم عن أفلا يتفكون؟ أفلا ينظرون؟ أفلا يعقلون؟ أفلا يتدبرون؟ أفلا تبصرون؟ أين هم عن هذه الآية العظيمة "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق"؟ أين هم عن "إنما يخشى الله من عباده العلماء"؟ أين هم؟ وهل بضعة شعيرات على الذقن تعفيك من كل هذا؟! وتتفّه وتلغي كل ذلك؟! على النفس ان تجد نفسها، على النفس ان تحاور نفسها، فقد نأتي بمفهوم جديد للنصوص القرآنية تتناسب مع زماننا ووقتنا ومع فكرنا المعاصر، واعلم أن أصعب طريق تسلكها عندما تكون وحيدا، وهي بالمناسبه التي تجعلك قوي وتجد نفسك تصل إلى الله سبحانه).

وفي خضم حوار شبحي معي أخرجتني يد مولودي كريم من الخيال الى الواقع، حيث هوت كفه الصغيرة رغما عنه على وجهي بصفعة شعّت بركانا من النور غمرت مهجعي، ففتحت له ذراعي، وقبلته، ثم غبت في أيكته.

ساقني بعدها أطفالي (نبيل، وتالا) الى غرفة الصالة كي نشاهد بعض الرسوم المتحركة، وأثناء جلوسي بينهم، كانت تالا تنظر الي بخدر، بينما نبيل كانت نظراته تغيب وتحضر، فسألتُ تالا وانا أعلم ما يحيك بصدرها من تعجب: "مالك يا بابا مستغربة؟".

تالا: "شكلك متغير؟".

أنا: "عشان شلت لحيتي؟".

تالا: "آه".

أنا: "مش حلو؟".

تالا: "آه.. اللحية عليك أحلى".

أنا: "بس التغيير حلو برضو".

تالا: "لأ مش حلو يا بابا".

أنا: "مش مهم يكون الواحد حلو.. المهم أخلاقو تكون حلوة".

تالا: "حتى ولو.. احنا تعودنا عليك بلحية!".

أنا: "يعني اذا شلت اللحية بطلت أبوكي؟".

تالا: "مش هيك قصدي.. بس حاسك غريب!".

أنا: "ما غريب الا الشيطان يا بابا.. كلها أكم يوم وبتطلع اللحية".

تالا: "أحسن".

أنا: "شو رأيك يا نبيل؟".

نبيل بعينان تفيضان حباً: "مش مهم يا بابا تربي لحية.. المهم إنك تكون مرتاح".

أنا مبتسماً: "الله يرضى عليك يا بابا.. مش زي الفصعونة أختك؟ هههههه".

نبيل: "بابا.. احنا أخدنا بحصة الدين إنو الإيمان مش بالمظاهر".

أنا: "مزبوط يا بابا.. الدين مش بالشكل".

نبيل: "يعني يا بابا.. لو خليت لحيتك أو شلتها إنت بابا حبيبي".

أنا بعينان مدموعتان: "الله يرضى عليك يا بابا وعلى أختك الفصعونة".

نبيل: "بس يا بابا ممكن أسئلك سؤال؟".

أنا: "تفضل يا أسد".

نبيل بعدم اكتراث: "أنا مش أسد!".

أنا: "ليش بتحكي هيك يا بابا؟".

نبيل بكشرة: "لإني أنا مش أسد!".

أنا: "بس يا بابا أنا مش قصدي الإهانة؟!".

نبيل: "بعرف يا بابا انك بتحبني".

أنا: "طيب مادامك بتعرف.. ليش ادايقت لما حكيتلك "أسد"؟".

نبيل: "لإنو الأسد حيوان وأنا إنسان.. وحتى لو كان الأسد ملك الغابة بضلو حيوان، وأنا إنسان".

بصمت مسجى، وبعينان تفيضان ولعاً في اجابة ابني نبيل: "إنت صح يا بابا، وأنا غلط، والإنسان غير الحيوان".

نبيل بكل ثقة: "شكرا بابا".

أنا: "طيب ايش كنت بدك تسألني؟".

نبيل: "في سبب إنك حلق لحيتك، والا هيك إجا عبالك؟".

أنا: "في سبب طبعا".

نبيل: "ممكن أعرف ايش هوة؟".

وفجأة رقص المنزل بنا، وأصوات الجيران ارتفعت بالصياح والتصفير والتكبير والتهليل، صعدنا فوق سطح المنزل جميعاً لنرى ما يحدث، وإذا بإيران تطلق موجة من الصواريخ الباليستية باتجاه الأراضي الإسرائيلية، مستهدفة سبعة مواقع في وسط البلاد، لأول مرّة ترتفع رؤوسنا منذ السابع من أكتوبر في وجه جلّادينا.

دوّت صفارات الإنذار في تل أبيب والقدس، والأحداق شاخصة نحو الصواريخ الايرانية في السماء، وكأنها مربوط في ذيلها بحبل من مسد، أما عني فقط هبطت من سطح المنزل مسرعاً وأشعلت التلفاز، لأجد القنوات الإخبارية تتحدث أن الهجوم الإيراني شمل نحو ١٥٠ صاروخاً، أدت الى اندلاع حريق قرب مقر وزارة الأمن في تل أبيب، وسط تصاعد كثيف للدخان فوق ناطحات السحاب في المدينة الساحلية.

فتحت مواقع التواصل الاجتماعي لأتتبع الخبر عن كثب، لأجد بعض مطأطئي الهامات يهاجمون هذه الضربات الإيرانية على اسرائيل، ويصفونها بأنها مسرحية لرفع مستنقع المذلة والمهانة التي سقطت بها ايران على يد اسرائيل، وأن الدافع لها لم يكن من أجل غزة.

أما المشايخ والدعاة والعلماء من السنة، فقد كان معظمهم ينشرون أصواتهم البلهاء في كل مكان أن الشيعة هم أعداء الأمة الحقيقيين، ولا يمكن أن نثق بهم حتى نشق بطونهم ونرى ما فيها.

أمّا بالنسبة لي فقد كان لي رأي آخر، حيث نثرت على صفحتي أقول: (المشروع الشيعي -اليمن، لبنان، إيران- هو من يضرب بحيوان أمريكا -اسرائيل- وحتى لو كانت مسرحية كما يقول بعض الغوغائيين والمتنطعين من خلف شاشات حواسيبهم وجوالاتهم، فإني أحببت هذه المسرحية جداً، بينما يقف المشروع السني -خزاه الله- يشخر أمام خشبة هذه المسرحية، بل ويضرب بفلسطين لحساب إسرائيل!! شكرا إيران.. على الأقل اختبؤوا كالجرذان والقنافذ تحت الأرض، بينما كانوا كالصقور والنسور يحلقون فوق سماء الدول العربية والإسلامية السنية.. شكرا إيران.. وشكراً لكل كافر دافع عن فلسطين، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، والحساب لرب الناس يوم الحساب، "ونشرت قولي هذا على المواقع الإخبارية المحلية والدولية).

نمت هذه الليلة والصواريخ تمر بين فصوصي دماغي "الجبهي، والجداري، والصدغي، والقذالي"، حتى انتهت الى الفص الجبهي وقالت لي: (هل الأمة العربية والإسلامية اعتادت الذل وتمرّست المهانة؟ وهل هي بحاجة الى صواريخ ايران كي تستيقظ! ومع ذلك لم تستيقظ من سكرتها؟! يبدوا أن الحرية بحاجة الى مِران في عقول من يدّعون العروبة والإسلام والإنسانية كي يصنعونها؟!).

فأجبتنها وكنت أحلّق بجوارها: (لا أعتقد ذلك.. رؤيتي للمرحلة هي أنني أرى أن الشعوب العربية عامة والإسلامية خاصة هي الخانعة والخاضعة إزاء ما حدث ويحدث الآن في غزة، فالأمة الإسلامية في سبات عميق، ولا يتقنون الإنتظار إلا لمشاهدة رونالدو أو ميسي، لأن قدم رونالدو أفضل لديهم من الكعبة، وكعب ميسي أفضل لديهم من القدس! الشعوب العربية والإسلامية المرحومة لا تتقن إلا التنقل ما بين الطعام والحمام! إن عين الحكمة في التعميم وليس في التعيين، فكما كنتم يولى عليكم، ألم يقل أحكم البشر صلى الله عليه وسلم "ولكنكم غثاء"، أعتقد أيتها الصواريخ الإيرانية أننا في مرحلة الإستبدال، لقول احكم الحاكمين: "وان تتولوا يستبدل قوما غيركم" صدق الله العظيم، والمشروع الشيعي خير مثال لما يحصل الآن.. نوما هنيئاً لأهل الكهف، وعظم الله أجركم في هذه الأمة العربية والإسلامية المرحومة).

استيقظت والنور يحاول شق باب الدنيا فوق عجوز باغية لا تقوى على إقامة الأمد لصوت النساء المذبوح، أو لسد رمق أطفال جياع.

تصفحت هاتفي وصفحتي الخاصة على الفيسبوك، لأجد ساحتي فيها تعاني من قصف داخلي وخارجي من ثلة من المرجفين الذين يتهكمون على صواريخ اليمن ولبنان وإيران والمقاومة في غزة، لم أبالي، فالمرجفون عمود قائم في كل زمان ومكان، غرضه إحداث الزلزال الاجتماعي والمعنوي والأمني.

ولقد عانت المدينة منهم في عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالي: (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) سورة: الأحزاب.

دربهم تعظيم قوة الأعداء وقدراتهم، ونشر الهزيمة وتعذّر كسر شوكة وهيبة العدو، بهدف تخذيل المؤمنين وبث الرعب في قلوبهم وتخويفهم من أعدائهم، وهكذا يفعل المرجفون في هذه الحرب الاسرائيلية على شعبنا الأعزل في قطاع غزة.

الإرجاف هو نشر الإفك واشاعة الباطل وترويج الأكاذيب التي يفتريها أعداء النصر، من أخبار الزور والسيئة، يضخمونها للتشكيك ولتثبيط الهمم وإشعال نار الفتنة.

فنشرت تعليقاً آخر على صفحتي أقول فيه: ((هناك من يعتبر السابع من أكتوبر هزيمة، وهما صنفان: الأول من يقول "احنا انهزمنا"، وهو بهذا القول أعلن انهزامه وفسخ نفسه من التاريخ، وهو حر برأيه وبنفسه، وقد اختار أن يكون مهزوماً، ولكن المشكلة في الصنف الثاني منهم، وهم من يكررون مفهوم الانهزام في المجالس وعلى النشرات الاخبارية، لأنهم فعلياً يعملون على الترويج للهزيمة، وهذا تعدى مسألة الفرد الى المجتمع، يعني نحن نتحدث عن "ثقافة"، ولهذا الذي يكرر مسألة "أننا انهزمنا" هو يروج الى ثقافة الهزيمة، وهو بطريقة أو بأخرى يبث سياسة انهزامية) وهناك من يعتبر السابع من أكتوبر نصر، وهما صنفان: الأول من يقول "احنا منتصرين باذن الله"، وهو قد عقد صفقة مع ربه أنه منصور باذن الله، على الاقل في قلبه لم يهزم، ولو انهار كل شيء من حوله، والأعظم هم الصنف الثاني، لأنهم يبثون ثقافة النصر -من يكرر ويذكر الجميع بوعد الله تعالى لنا- ففلسطين هي الوردة التي يسعى إليها هذا العدو لقطفها، وهو لن يرميك بالأزهار بالمناسبة، بل سيرميك "بالإف ١٦" من أجل الحصول عليها! ولن تعود إلا بالجهاد والتضحيات، والآن أهلنا في غزة ينوبون عنك وعني وعن العالم بأسره بتقديم قوافل الشهداء جزءاً من مهرها، قد لا نتفق في الرأي مع ثلة من اخواننا، ان كانوا من العامة والسياسيين والمسؤولين والمثقفين والاعلاميين حول جوانب عديدة في عملية السابع من أكتوبر، لكن لا يمكن أن نختلف أن السابع من أكتوبر كان محطة فاصلة في تاريخ الكوكب، ولا يمكن أن نغفل أن الكلمة حجمت الفحل الصهيوني في هذا التاريخ، مما أدى إلى سقوطه إعلامياً ودبلوماسياً وأخلاقياً وانسانياً حول العالم، فغدا منبوذاً ومكروها وغير مرحباً به، ولكن في نهاية المطاف هناك من يلف حول أعناقنا الحبل لإعدامنا، ثم تأتي طوابير المرجفين لتصبير أجسادنا المحكوم عليها بالإعدام ظلماً بإحكام شدّه! اسأل نفسك: "هل يتبرعم الصواب هكذا؟"، الروائي والصحفي والكاتب الفلسطيني "غسان كنفاني"، اختصر معركتنا في القرن المنصرم مع هذا العدو الإسرائيلي الحقير قائلا: "لا يوجد حلول ليبرالية، ولا يمكن بناء المستقبل إلا من خلال مواجهة شاملة مع الإمبريالية")).

بعد أن نشرت التعليق، وصلتني رسالة نصية على محمولي، فتحتها، واذا بها من كاتب له مكانة رفيعة عندي، أبلغني بها أن أنفاسه تختلج في صدره لصعوبة الوضع الراهن، وأنه يريد رؤيتي في احدى المقاهي الثقافية بصحبة بعض الأصدقاء، فلبيته.

عندما دخلت الى المقهى، أرسلت نظري في أرجائه باحثا عنه، فوجدته يجلس على طاولة بصحبة نفر من القامات الأدبية والروائية والسياسية والأكاديمية، كان منهم من يعرفني وأعرفه، ومنهم من كان يتابعني على مواقع التواصل الاجتماعي، استقبلوني بانقضاض أعينهم على وجنتي، وما أن جلست حتى انبلج في وجهي أحد المثقفين الشيوعيين البارزين في الوسط الثقافي الفلسطيني، والذي قذفني بسيل من الكلمات على سبيل المزاح قائلا: "وين اللحية؟! انت

غير واضح يا محمد.. مرّة بلحية.. ومرة بدونها.. جنّنتنا يا مفكر! حيّرتنا! ارسالك على برا!"، أراد أن يكمل فانتزعت منه الحديث احدى المثقفات المتشدقات بالحبل اليساري، وأضافت: "فعلاّ.. تغيير رهيب ومفاجئ!! متزعلش مني يا محمد.. أنا بعزك، ومتابعتك، وبحب اطروحاتك، بس انت غير مفهوم! مهوة إنت لازم تحدد هويتك، ونعرف انت مع مين، وبتنتمي لمين؟!".

قفز الكاتب الذي دعاني الى الجميع من بين المسافات، محاولا اختصار أغوار الكلمات، ولجم الألسن التي تحرث في وجنتي ولحيتي المعدومة: "ولا تسأل في حدا فيهم.. هيك أحلى بدون لحية، واحنا بنحبك بغض النظر بلحية أو بدونها، والكل بعرف انك ما بتنتمي لأي جهة، بس قرار ازالة اللحية كان مفاجئ بالنسبة للجميع، فما توخد الأمور بجدية محمد، إحنا بنحترمك جميعنا، واللي صار فقط على سبيل المزاح".

التزمت الصمت احتراما لزميلي، وكان سكوتي ينوب عن الكلام بأكمله، حتى اندفعت اعلامية وصحفية نسوية وذربت لسانها تقول: (أنا اسمعتلك كتير لقاءات وحوارات ومحاضرات بمجالات مختلفة، وبما إنك مفكر اسلامي وفرصة نستغل وجودك معنا، فبحب أعرف منك ليش ربنا -سبحانه- وصف حالو بضمير الذكورة "هو" لما قال في سورة الاخلاص "قل هو الله أحد"؟ يعني هل هو جنسو ذكر؟ وإذا هوّة مش ذكر، هاذا بأكد إنو منحاز للذكر على حساب الأنثى، لإنو قال "هو" مش "هي"!؟ وفي كتير شغلات بتأكد هادا الحكي، من جملتها "للذكر مثل حظ الأنثيين"، وفي مسألة التعدد والسماح للذكر بالزواج بأربعة نساء، والميراث، والقوامة، وغيرها كتير شغلات، ممكن لو سمحت إنك تجاوبني؟ لإني أنا على يقين أن التراث الاسلامي "السنة والقران" هو ذكري محض، لأن الله -سبحانه- ذكر الجنس في الأساس وليس أنثى).

اقتنصت سؤالها كي أعدم اللوغوس النسوي: "لا أتعجب من طرحك لهذه المسألة الحساسة، وان كان العجب او الغضب يعتريني فهو ليس بسببك، وانما بسبب الخطاب الاسلامي السطحي والقائمين عليه، المُنشغلين بالحيض والنفاس وحف الشارب واطلاق اللحية وحلق شعر الراس! والذين لم يتناولوا هذه المسألة إلا بحدود الهرب منها، فضلا على أنهم لم يتناولوه من الأساس -الا من رحم ربي منهم- ولذلك.. سقطت أنت وغيرك من النسويين والنسويات في شباك ميتوسها".

الصحفية مصوبة ذقنها نحوي: "ماذا تقصد؟ إلى ماذا ترمي؟ ومن هي التي سَقَطْت أنا في شباك ميتوسها؟

العبد الفقير لله: "نوال السعداوي".

الصحفية بصوت أقرب للحدّة: "لا تحاول الإقتراب من القائدة! نوال السعداوي ما في عليها حكي ولا غبار! وهيّة رائدة النسوية الليبرالية، والمتمردة في الموجه الثانية في الإنقلاب على المجتمع الذكوري الظالم".

العبد الفقير لله كالرمح في وجهها: "حضرتك من بدأ النقاش وندف السؤال، وعليك ارهاف السمع للإستماع الى الإجابة وإحترام المناقشة، ولكونك مثقفة عليك أن تعيي أن هذا من أبجديات الحوار حتى لو اختلفنا".

الصحفية وأعينها تمر علينا جميعاً وهي منصهرة: "صحيح.. أكيد.. تفضل".

العبد الفقير لله جارّاً الزمن بيدي: (إن الاساس الذي انطلقت منه أنت والنسوية بجملتها هو نوال السعداوي، هذه الطبيبة والكاتبة والأديبة والمفكرة المصرية "نوال السعداوي" صاحبة الرواية الشهيرة والمثيرة للجدل "الإله يقدم استقالته فى اجتماع القمة"، السعداوي التي بدأت مشكلتها الفكرية حينما سألت مدرسها: "هل الله في اللغة مذكر أم مؤنث؟"، وأنا أرسل سؤالي لكل الفتيات والنساء والنسويات والنسويين وغيرهم من السعداويين: "كيف يمكن اعتبار نوال السعداوي قدوة أو صاحبة منطق وفكر وحجة دامغة؟".

الصحفية بصوت أجش: "لماذا لا نعتبرها قدوة؟! أنا أعتبرها قدوتي ومعلمتي وملهمتي، ولم تنال المرأة حريتها إلا بصوت نوال السعداوي".

هتفت للتقريب: "أليس الفكر يؤشر على صاحبه!".

الصحفية بتردد: "صحيح".

العبد الفقير لله بلسان مبين: (نوال السعداوي التي اجترأت على الذات الإلهية؟! واتهمت الله سبحانه بالذكورية عندما قالت بحقه سبحانه أنه "ذكر"، وعيّنت جنسه أنه "ذكر"، معلّلة ذلك أنه خاطب نفسه في سورة الاخلاص بقل "هو" ولم يقل "هي"، واعترضت على قول الله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"، وكتبت بدلا منها: "قل هي الله أحد" ـ تعالى الله عما تقول علوا كبيرا- أليس كذلك!! ألم تنشر ذلك علنا؟!).

الصحفية بنظرات تتردى في وجوهنا جميعاً: "صحيح.. هي من أذاعت هذه الفكرة، ولا أرى أي مشكلة في فكرتها".

أنا منضّداً صوتي فوق الطاولة: (الآن سأجيب السعداوي في قبرها، وسأجيب كل السعداويين والسعداويات عن سؤالهم: "لماذا قل هو الله أحد؟"، ولماذا عبر الله عن نفسه بضمير "هو"؟ ولماذا "هو" وليس "هي"؟ وهل الله ذكر الجنس؟ أم أنه يميل للذكوريّة بوصفه نفسه ب "هو"؟! لكن قبل أن أجيب، علينا أن نعلم أن هناك حضارات عديدة كانت فيها الآلهة أنثى، كإلهة

الأرض "غايا" وهي التي تمثل "الأرض" في الميثولوجيا الإغريقية، و"هيرا" وهي التي تمثل "النساء والولادة" في الميثولوجيا الإغريقية أيضاً، و"عشتار" إلهة "الحب والجنس" والتي عبدها الأشوريون في حضارة بلاد الرافدين، وهنا السؤال الحقيقي: "ما هو الله؟"، ولو سألتك: "ما هو الله؟"، وانتبهي أن هناك فرق بين "ما هو الله؟" و "من هو الله؟" هل يمكنك الإجابة؟).

الصحفية بصوت شفاف: "لا.. صراحة لا أعلم".

العبد الفقير لله: "سأجيبك الآن".

توقفت بين نفسي بضع ثوان كما أفعل دائما في حواراتي ونقاشاتي، استعنت بها على الله سبحانه أن يطلق لساني، فانطلق عقاله: (هناك "الذكور" والذين أخذ منهم الجنس الذكري، وهناك "الإناث" واللواتي أخذ منهن الجنس الانثوي، ولكن الله تعالى ليس جنس! فليس هناك آلهة عديدة كي يؤخذ منها جنس الإله، لذلك قال الله تعالى في كتابنا الكريم "أحد" ولم يقل "واحد"، بل قال: "قل هو الله أحد"، لأنه لو قال: "قل هو الله واحد"، هذا سيؤكد أنه من جنس الذكورة، لأن كلمة "واحد" في اللغة والضمائر يقابلها "واحدة"، ولذلك قال سبحانهُ: "أحد"، لينفي مسألة الجنس البيوليجي والإجتماعي عنه، بمعنى أنه لا يوجد مجموعة من الآلهة لكي يصطفي إلهنا نفسه وجنسه منهم، أو لينتخبوه هم عليهم، إذن، الله ليس جنس من الأساس، لأنه عبر عن نفسه ب "أحد"، وهنا يأتي سؤالك وسؤال النسويات: "إذن، لماذا عبر عن نفسه بالضمير الذكري هو؟!"، وجوابي على السؤال أن اللغز يكمن في اللغة العربية، قال تعالى في سورة يوسف: "إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، وفي آية اخرى: "وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا"، وهذا يؤشر على أن الصيغة الحقيقية للقرآن لا يعلمها الا الله سبحانه، ولكنه أنزله باللغة العربية، لأنه قال في آية أخرى "وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا" أي: بلغة غير عربية، وهذا يؤكد على أن الله تعالى ليس عربيّاً -كما اعتقد البعض من المشايخ والعموم- ولا اللغة الحقيقة للقران بالعربية، لكن أنزله بلسان عربي لأن محمد -عليه الصلاة والسلام- عربي الأصل، ولأنه أنزل على الجزيرة العربية، والذين كان لديهم ملكة اللغة العربية واللسان العربي الفصيح، والبيان والمنطق والشعر وغيره، واللفظ عند العرب مقسوم لقسمين "مؤنث ومذكر" فقط، الضمير "هي" يستخدم للأنثى فقط، لكن الضمير "هو" يستخدم لمجهول الهويّة، ويؤشر إليه في ثلاثة حالات "للمذكر، وللمؤنث، ولعديمي الجنس").

الصحفية بنظرة استفهامية: "ممكن توضح أكتر لو سمحت؟".

العبد الفقير لله بمثال: (لو قذفت الكرة في وجه شخص ما اسم "أحمد" على سبيل المثال، وأتيت إليك سائلاً: "من الرامية؟"، هذا يوضح أن هوية الرامي "أنثى"، لكن لو سألت: "من الرامي؟"، فهنا نقع تحت ثلاثة احتمالات، الأول إما ان يكون الرامي "ذكر"، أو "أنثى"،

أو "عديم الجنس"، لماذا؟ لأنه مجهول الهوية بالنسبة لي، ولذلك يطلق الضمير الذكري على مجهول الهوية، لأن هويته محجوبة عني، ولقد بيّنت آنفاً في بداية حوارنا أن الله سبحانه لا هو ذكر ولا أنثى، وليس جنس من الأساس، اذن، يتبقى لي الاحتمال الثالث وهو أنه "عديم الجنس"، والله تعالى وصف نفسه قائلا: "ليس كمثله شيء"، لذلك خاطب نفسه ب "هو"، وهذه من بديهيات اللغة العربية حتى عند الطالب).

الصحفية بصحوة جليّة: "نعم.. اللغة العربية هكذا تقول".

العبد الفقير لله بمثال مُدعم آخر من القرآن الكريم: (عندما يقول الله تعالى في كتابنا الكريم: "قد أفلح المؤمنون" بصفة المذكر، نعلم أن المخاطب إما أن يكونوا "ذكوراً" أو "إناثاً"، لكن لو قال تعالى: "مؤمنات"، نعلم يقينا أن المخاطب هم الإناث فقط، أليس كذلك؟).

الصحفية بجواب مبلل بالتفاعل: "بلى.. صحيح مئة بالمئة".

العبد الفقير لله مُردفاً: (إمام النحاة "سِيبَوَيْهِ" وهو أول من بسّط علم النحو، عندما تحدث عن تصنيف "الشيء" قال: "الشيء بحد ذاته هل هو ذكر أم أنثى؟"، فأجاب على نفسه: "لا ذكر ولا أنثى، إنه محايد"، لذلك، مسألة "الله تعالى بذاته" لا هو ذكر ولا أنثى ولا بينهما، وليس "جنس" من الأساس كما وضّحنا سابقاً، فالسمكة التي تسبح في البحر، لا تعلم شيئاً عمّن يدب ويدج على ظهر اليابسة! الله سبحانه "ليس كمثله شيء" جلّ في عُلاه).

الصحفية متذاكية: (حسناً.. اذا لم يكن "الله" جنس من الأساس، لماذا خاطب نفسه بصفة الجمع "نحن"؟ أليس هذا تناقض! لماذا يخاطب الله تعالى نفسه تارةً بصفة الفرد "أنا" وتارةً بصفة الجمع "نحن" إذا لم يكن جنساً من الأساس؟ هل هناك آلهة عديدة؟).

العبد الفقير لله مُوضحاً: (عندما يريد سبحانه أن يشير إلى ذاته، فإنه يستخدم لفظ المفرد "أنا" كقوله تعالى: "إنني أنا الله لا إله إلا أنا"، ولكن عندما يستخدم لفظ الجماعة "نحن" ليشير به الى حالتين: الأولى "الجماعة" كجماعة من الناس، والثانية "لإظهار عظمة الفرد" فنقول مثلا: "نحن جلالة الملك عبدالله الثاني قررنا العفو عن المذكور"، ولله المثل الأعلى، فعندما يستخدم الله تعالى لفظ الجمع لذاته يراد به إمّا "التعظيم" كقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"، أو عندما يريد أن يشير إلى أفعاله -سبحانه- فإنه يستخدم لفظ الجمع، كقوله تعالى "وإذ قلنا للملائكة").

الصحفية متذاكية مرة أخرى: (لكنك لم تجبنا على سؤالك الذي طرحته في البداية: "ما هو الفرق بين "من هو الله؟" و "ما هو الله؟"، أتمنى منك الرد؟).

العبد الفقير لله مستعينا بالله سبحانه مرة أخرى: (عندما نقول "من هو الله؟"، فإن هذا السؤال

يقع في صلب اللاهوت، والله هو الرب والإله، الخالق، المعبود الأوحد والأقدس، له الأسماء الحسنى والصفات التامة، بينما عندما نقول "ما هو الله؟"، فإن هذا السؤال يقع في صلب اللاهوت والمنطق معاً، وكل ممكن هو زوج مركب من وجود وماهية، ويتم تحديد الماهية عبر التعريف، والتعريف التام هو ما يكون بالجنس القريب والفصل القريب، و"المنطق الحديث" عرّف لنا "المفهوم" و"المِصداق"، أمّا "المفهوم" فهو صورة "ماهوية" للمصداق، أي: "للشيء الموجود الذي يراد تعريفه"، أي: "للحقيقة"، ثم نذهب الى "المصداق" وهو واحد، لكن "المفهوم" متعدد، ويكون هذا التعدد تبعا لاختلاف الفصول).

الصحفية والتيه يلبسها: "ممكن التوضيح أكثر.. لم أفهم ما تقصد به؟".

العبد الفقير لله بمثال: (لو سألت: "ما هو الانسان؟"، الإنسان "مصداقه" في الخارج واحد، ولكن مفهومه متعدد، ولديه الآلاف من التعريفات، فقد يعرفه أحدهم بأنه " كائن اخلاقي" وآخر قد يعرفه بانه "كائن روحي" وآخر قد يقول عنه "كائن تأويلي" وآخر يقول بأنه " كان ميتافيزيقي"، الفيلسوف اليوناني " أرسطاليس" المشهور بأرسطو، مؤسس الفلسفة الواقعية "Philosophical realism" عرف الانسان بأنه "كائن ناطق"، بالمعنى الفارابي للنطق "النطق الباطني" والذي يعني تعقّل المفاهيم الكلية، على أن النفس الانسانية ذات ثلاثة طبقات: "الحس، الخيال، العقل"، والعقل هو الذي يجرّد من الجزئيات مفهوماً كلياً، فأنا لدي مفهوم الانسان، لكن "الانسان" ليس أنا، فأنا أحد مصاديق الانسان، لكن الانسان كإنسان لا يوجد في الخارج، وانما في الذهن، لأن "الانسان" مفهوم كلي، والكليات هي مفاهيم منطقية، عروضها واتصافها يُخلق في الذهن، واذا كان مفهوم الانسان وتعريفه عملية صعبة للغاية، فكيف بمفهوم "الله" سبحانه! وهذا يعيدنا الى سؤال "ما هو الإله؟"، اذا كان تعريف اي ماهية يكون بالجنس القريب والفصل القريب لها، هل "الله" سبحانه له جنس كي نعرّفه؟ هل هناك بساتين من الالهة "آلهة كثيرة" نستخرج منها الفصل، بأن نفصل بين إله، وإله آخر"؟ كلا.. هو اله واحد أحد لا اله الا هو، وماهية الله سبحانه "والماهية = الوجود او الذات او الهوية" وتحدد بالجنس والفصل القريب، فإن "الله" سبحانه لا ماهية له بهذا المعنى! وبالتالي لا جنس له، و اذا كان الله سبحانه لا جنس له، فهذا يعني انه لا فصل له).

الصحفية بلسان حائر: "اذن.. كيف نُعرّف الله؟".

العبد الفقير لله مبيناً: "(عبر مخلوقاته ومصنوعاته، عندما طلب موسى رؤية الله جل جلاله، اجابه سبحانه "لن تراني"، وخرّ موسى صعقا، وقال "امنت" وكأن طلب رؤية الله سبحانه كذات وماهية هو قدح في جوهر الايمان به! فالله لا يمكن أن يُرى "لا تدركه الابصار"، كما أنه لا يُمكن للمحدود أن يُعاين اللامحدود!؟"، الإنسان وجد نفسه بين أحضان الوجود، في مشهد الطّبيعة وعزف العصافير، مشهد النهار وهو يذوب في الليل، مشهد الغيوم التي ترتسم

في حضن السماء وكأنها لوحه فنيّة، مشهد الوردة التي ترقص على صحن التربة، مشاهد الجمال المدروس الحِسّي والمَرئي والمَسموع، والذي إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن اليد التي خلقت ورسمت وكتبت هذا الجمال لا يمكن أن نستوعب سحرها، فكيف بالخالق الذي قرر لهذا الجمال أن يكون؟! الرسّام الإنجليزي والشاعر الصوفي "ويليام بليك" كتب مرّة يقول: "حين ترى الجنّة في زهرة بريّة، وترى الدنيا في حبّة رمل واحده، فكأنما قبضت على السّرمدية بيمينك، وعشت الخلود في ساعة زمن!").

حركت الصحفية رأسها بالإعجاب: "يبدوا أنك فيلسوف أيضاً.. هل تؤمن بالفلسفة؟ أم أنك تكفر بها كمعظم رجال الدين من علماء السنة والجماعة، ولكونك مفكراً إسلاميّاً تنطلق من أرضية إسلامية؟".

العبد الفقير لله بنظرة مباشرة: "حسب المدرسة.. والمعنى الذي تقذفه، لكن في البداية علينا أن نعرّف ما هي الفلسفة؟".

تدخل احدى المحاضرين والأكاديميين، والحاصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة: "وما هي الفلسفة؟ هل يمكن أن تخبرنا ما هي؟!".

العبد الفقير لله موزعا نظراتي نحول الجميع: (الفيلسوف تقابل السفسطائي "Sophist"، والسفسطائي تعني "الحكيم"، وهم معلمون متغطرسون إحترفوا البلاغة والكلام والعلوم في أغلب المجالات، فإدعوا الحكمة، ونسبوها لأنفسهم وإحتكروها، فجاء الفيلسوف اليوناني والطبيعي سقراط "Socrates " مؤسس الفلسفة الغربية ليقول بكل تواضع: "أنا لست حكيما، ولكني أحب الحكمة وراغب فيها"، ومن هنا ظهر مفهوم "فيلوسوفي"، وفِيلوسوفي تعني " حبّ الحكمة"، باليونانية "فيلو" تعني "حب "، و"سوفي" تعني "حكمة "، وكلمة "فِيلسوف" تعني "المُحب للحكمة"، ومن أحبه الله سبحانه آتاه الحكمة، قال تعالى: "يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا"، صدق الله العظيم، لذلك سقراط هو من أعطى الفلسفة عنوانها ونعتها، وتصدى لعنجهية وغوغائية السفسطائيين، لذلك كان أول فيلسوف هو سقراط ثم تلميذه أفلاطون ثم تلميذه أرسطو).

الدكتور بعيون مشدودة: "وما هي الفلسفة بالنسبة لك بشكل شخصي؟".

العبد الفقير لله مُعرفاً: "الفلسفة بالنسبة لي هي البحث في الوجود، والبحث في الإنسان مستقل عن هذا الوجود وعلاقته بالطبيعة، والبحث عن ما وراء المادة".

الدكتور وقد شدّه الحوار: "هل يمكن أن تبرح أكثر في المسألة؟".

العبد الفقير لله بلغة التبيين: (أكيد.. البحث في الوجود ينطوي تحت جناحها علم الكوزمولوجي

"Cosmology"، الأسترونومي "Astronomy "، الأنطولوجي "Ontology"، البيولوجي "Biology" ، الإيكولوجي "Ecology"، الجيولوجيا "Geology"، والفيزيكس، وكل العلوم الطبيعية الأخرى، أما بالنسبة للرياضيات طبعا لا تعد من العلوم الطبيعية، ولكن لها علاقة وطيدة بها، والبحث في الإنسان مستقل عن الوجود وعلاقته بالطبيعة، ينطوي تحت جناحه علم الأنثروبولوجي، والتي أخذت من أصل يوناني، حيث "Anthropos" تعني إنسانًا، و "Logos" تعني علمًا، بالإضافة الى علم الأخلاق "Ethics" ، وكل ما يخص الإنسان كبناء وكفرد وجماعة وحضارة وسلوك، والبحث عن ما وراء المادّة والوجود، ينطوي تحت جنحها الثيولوجي "Theology" وكل ما يتعلق بها، و الميتافيزيقا "Metaphysics"، بمفهوم مبسّط، الفلسفة بالنسبة لي: "هي سعي الإنسان نحو فهم ذاته، والبحث في الوجود الموضوعي من حوله، وفهم ما وراء الوجود).

الدكتور منخرطاً في الفلسفة معي: (وأين يمكن أن تصنّف نفسك بين المدارس الفلسفية، مثلا: "Idealism ، Realism ، rationalism ، skepticism ، Pragmatism ، Subjectivity ، Objectivity ، in Absolute Idealism ، Nihilism ، Absurdism ، Existentialism ، Dogmatism ، Pragmatism ، Empircism ، أين تجد نفسك من بينهم؟).

العبد الفقير لله بالعموم: (الفيلسوف اليوناني الشهير "أفلاطون" تلميذ "سقراط"، كان يرى أن الأفكار هي الحقيقة، أي: "أن المادة نتيجة للأفكار"، وهي ما تسمى بالفلسفة المثالية "Idealism"، والفيلسوف اليوناني الشهير "أرسطو" تلميذ "أفلاطون"، كان يرى أن المادّة هي الحقيقة، أي: "أن الأفكار نتيجة للمادّة"، وهي ما تسمى بالفلسفة الواقعية "Realism"، وكل منهم له جانب في الصواب وجانب آخر في الخطأ، والحديث يطول في هذه المسألة ونحتاج الى ساعات بل محاضرات كي نوضح مفهوم وفلسفة كل منهما، وهناك أيضا كما ذكرت الكثير من المذاهب والمدارس الفلسفية كالعقلانية والتجريبية "الأمبريقية" والشكية واليقينية "الدوغماتية " والعدمية والمتعة وغيرها، وجُلها بالنسبة لي تتحدث عن سعي الإنسان لفهم ذاته وفهم الوجود الموضوعي من حوله، وفيها الصواب وفيها الخطأ، وفيها الفارغ وفيها الشاذ، وفيها الإيمان وفيها الكفر، والشرح فيها لا يتسع هنا، لكن عموماً الإنسان نحو سعيه لفهم ذاته وفهم الوجود الموضوعي من حوله فإنه يقلّد إحدى الثلاث حشرات "العنكبوت، أو النملة، أو النحلة").

الدكتور مستمتعاً: "رائع.. تقصد طريقة التفكير الفلسفي؟!".

العبد الفقير لله بانديا‌ح: (لك أن تتخيل يا دكتور -والحديث للجميع طبعاً- أن العنكبوت تعتمد على "Dogmatism"، حيث تعتبر فلسفة العنكبوت في الحياة مرتكزة على العلم والمنطق، وهما يشكلان المصدر الرئيسي والأساسي للمعرفة بالنسبة للعنكبوت، فهي تعتمد فقط على الاستدلال العقلي للوصول الى مُرادها، فتنسج بيتها من مادتها ومن نفسها فقط، ولا تلقي بالاً للخارج، ولا تستعين بما هو محيط بها، ولهذه العلة نجد بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت! لأنه يفتقر الى الأمان والسلام، لذلك "إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت"، وهكذا يفعل الفلاسفة الجزمية أو الدوجماطيقية أو الدوغمائية "الإعتقاديين أو اليقينيين"، حيث يكونون متعلقين بفكرة ما، ومتزمتين بعقيدة ما، أو متمسكين بمبدأ ما، من غير وجود أدلّة كافية، فقط متعصّب لهذا الفكر أو لهذه العقيدة أو لهذا المبدأ، أما النملة فتعتمد على "Empircism"، حيث تعتبر فلسفة النملة في الحياة مرتكزة على المعرفة التي تأتي بشكل أساسي عن طريق حواسها وخبرتها الحسية، والتي تتَّكئ على الملاحظة والإستنتاج العقلي لها، فتمثل جمع التجارب من الخارج، دون ان تلحق عليها او تستعيض بها، حيث أن النملة تستعين على الخارج فقط، وتُعول في بحثها واكتشافها عليه لجمع الطعام، ثم تستنفذه دفعة واحدة، وهكذا يفعل الفلاسفة الأمبريقيّين التجريبيّين "العمليّين أو المنطقيّين"، فيقومون بالبحث والإستقراء، ويجمعون الادلّة ويجربونها دون أن يضيفون عليها أو يستعيضون بغيرها، أما النحلة فهي مسألة أخرى، وأعتقد أن النحلة تمثل الفيلسوف الحقيقي، لأنها عين الفلسفة، فهي تسلك مسارا مُعتدلا بين النملة وبين العنكبوت، تعتمد فيه على الخارج والداخل معا، ولا تتوقف فلسفتها هنا، بل تزيد عليها وتنمّيها، حيث تضيف سحرها عندما تنتقل في الخارج من زهرة إلى أخرى، وتجمع ما اخذته من رحيق في داخلها ولكنها لا تتوقف به، فتعمل على وضع بصمتها الإبداعية والإبتكارية عليه، حيث تقوم بتخليقه لكي يصبح عسلا نافعا ولذيذا وشفاءً للناس، لذلك كل إنسان في هذه الحياة يسلك إما سلوك العنكبوت أو النملة أو النحلة، لكن كارثتنا هي أن المعظم ينحصر سلوكهم ما بين العنكبوت والنملة فقط، وهذا هو سبب سطحيّة الفكر الإنساني أنه لا يصدر عنه الإبداع! ولا عجب أن الله تعالى ذكر لنا في مصحفنا الكريم ثلاثة سور بإسم هذه الحشرات الثلاث "سورة العنكبوت ، سورة النمل ، سورة النحل"، والتي تمثل بالنسبة لي الفلسفة الحقيقية نحو فهم أنفسنا وفهم الوجود الموضوعي من حولنا، لذلك الفيلسوف والكاتب الإنجليزي "فرانسيس بيكون" أكد هذا المعنى، وكان يعرف الفيلسوف الحقيقي بالنحلة، مع أن فلسفته كانت قائمة على الملاحظة والتجريب، وكان يلُقِّب بأب التجريبية).

الدكتور باسطاً جسر المودة بيني وبينه: "لسان حالك هو لسان أفلاطون وأرسطو يا أخي محمد".

العبد الفقير لله مضيفا: (أرسطو كان أحد تعريفاته للفلسفة على أنها "الدهشة"، واذا أردنا أن نخوض في غمار الفلسفة بعين أرسطو فسيكون "الطفل" هو فيلسوف العصر، لأن الطفل يندهش بكل شيء من حوله، فيبحث ويسأل ويكتشف ويحلّل ويركب ويخرب).

الدكتور مستفسراً: "ما هو تخصصك الأكاديمي يا محمد، هل أنت متخصص بالفلسفة، أم بالعلوم الشرعية، أم بنوع من العلوم الطبيعية؟".

العبد الفقير لله متبسماً: "مهندس".

الدكتور بذهول: "مهندس!! أنت مهندس!".

العبد الفقير لله: "نعم.. أنا مهندس كمبيوتر".

الدكتور راكزا ذقنه بكف يده: "سبحان الله.. دائما يأتي التغيير في الخطاب الإسلامي من مفكرين وعلماء وفلاسفة ليسوا من أبنائه!!".

تحلقت أعين الإندهاش من الجميع في بعضهم، عندما صعد الى ذهنهم أني مهندس، وانضمت للحوار بروفيسورة لادينية -متخصصة في البيولوجي- أخذها الفضول: "اسمح لي بسؤال.. ما سبب توجهك للكتابة والأدب، وإبحارك في العلوم والفلسفة وأنت مهندس حاسوب في الأساس؟ أليس هذا غريب يا رفاق؟!".

أرهفوا سمعهم لجوابي..

تحينت السؤال وأجبت: "كان علي أن أتحدى برنامجي التربوي".

البروفيسورة باهتمام: "هل تعرضت لفكرة كانت سببا في انعطافك؟".

العبد الفقير لله: (المآكل العلمية التي أطعموني اياها حتى انتهيت الى ال"Skepticism"، لقد أغدقوا ساحة عقلي بفيوض من الأيديولوجيا الدوغمائية والتي تلوّح في نهاية المآل الى نشر الأغنوتلوجي "Agnosis"، كنظرية التطور "Evolution theory" لعالِم التاريخ والطَبيعة والأحيائي والجيولوجي البريطاني تشارلز داروين "Charles Robert Darwin"، ونظرية تعدد الأكوان "Multiverse Theory "، أو "Theory of Multiple Universes" ، وتُعرف أيضًا باسم "Many-Worlds Interpretation"، للعالم الفيزيائي الأمريكي هيو ايفرت "Hugh Everett III "، أو نظرية كل شيء "Theory of Everything - TOE" لعالم الفيزياء النظرية الإنجليزي ستيفن هوكينج "Stephen William Hawking"، وتبعاتها كنظرية إم "M-theory"، ونظريات الأوتار الفائقة "Superstring theory"، وغيرها، كان هذا بعض ما يَعْتاص على ذهن طالب بسيط غير متمرس بالعلم ولا بالفلسفة أن

يستوعبه، فقد عركتني التجاريب وظل عقلي يسلسل السؤال حتى اختلط عليه الوجود وما فيه، فكان لزاما علي أن أنقذ نفسي من حضن "التيولوجيا"، والتي تؤسس للإلحاد، وتحرير الانسان من تبعاته الوجودية والميتافيزيقية! ناهيك عن أن رجال الدين والمشايخ والحاملين رايته من دعاة وعلماء، والذين يحملون آلاف الشهادات في الدكتوراه لم يضيفوا شيء في الدين، ولم يعالجوا الإشكاليات النظرية والعلمية والفلسفية التي يبثها المجتمع الغربي في أوساط مجتمعنا الإسلامي والعربي، وهذا هو سبب خروج المفكرين).

البروفيسورة باستنكار: (ومن قال أن نظرية التطور غير صحيحة؟! أنا متخصصة بعلم الجينات والوراثة "Genetics"، وكلها تؤشر على صدق نظرية التطور، وأننا جئنا من ظهر القردة! نحن قردة مستحدثون يا عزيزي المفكر).

العبد الفقير لله بانشداه: (هذا غير صحيح!! وتشارلز داروين لم يقل في كتابه أصل الأنواع "The Origin of Species"، وكتابه الثاني أصل الأنواع بالإنتخاب الطبيعي "On the Origin of Species by Means of Natural Selection"، وكتابه الآخر إنحدار الإنسان "The Descent of Man"، وكتابه الإنتخاب الطبيعي " on Natural Selection "، أن أصل الإنسان قرد! وعندما صكّ نظرية التطور "Evolution theory" لم يقل أيضا أن أصل الإنسان قرد! وإنما قال أن الهومو "Homo" وهو الجنس البيولوجي الذي يضم البشر الحديثين "الإنسان العاقل"، والذي احندر من أصناف عديدة كالإنسان الماهر"Homo habilis" والإنسان المنتصب "Homo erectus" وصولا إلى الإنسان العاقل "Homo sapiens"، والاوسترالوبيثيكوس "Australopithecus" جاؤوا من سلف مشترك، وهاذا يعني أن أصل الإنسان حيوان وليس قرد!! وهذا الذي قصده داروين أن الإنسان جاء من ظهر الحيوان! يجب أن ننقل المعرفة بدقة يا بروفيسورة).

البروفيسورة بتلعثم: "وإن كان.. نحن حيوانات في الأصل، فأنا متخصصة بهذا المجال، ولدي أبحاثي فيه، والكون كله بما فيه الإنسان نتاج تطور".

العبد الفقير لله مستفسراً: (لو سلّمنا لهذه الفكرة، بأنّ كل الكائنات الحيّة نتجت من الخليّة الأولى قبل ثلاثة مليار سنة تقريباً -كما قال داروين في نظريته- سؤالي: "كيف نشأت الخليّه الأولى؟ ومن أوجدها؟" أتمنى الإجابة دون مواربة يا بروفيسورة).

البروفيسورة بتخبط: "لا نعلم إلى الآن".

العبد الفقير لله: "تشارلز داروين قال بكل وضوح أنها الصدفة! ألست من أنصار التطور؟! لما لا تقولين الحقيقة بما أنك ابنة التطور؟!".

البروفيسورة متحايلة: "لسنا متأكدين، ونحن نحاول رفع راية التطور بكل ما يحف بها من تحديات.. لكن العلم يقول أن التطور هو العلة لانبثاق الحاة".

العبد الفقير لله: (هل تعلمين أن داروين لم يستطع الاجابة على هذا السّؤال في كتابه! فقال بالحرف "الطبيعة التي تفعل ذلك في زمانية طويلة ممتدة"، فجاء الدّاروينيّون والمتطوّرون أمثال عالم التطور الألماني فريدريك ليوبولد أوغست وايزمان "August Weismann" ، وعالم البيولوجيا الأمريكي إرنست فالتر ماير "Ernst Walter Mayr"، و عالم سلوك حيوان البريطاني ريتشارد دوكينز "Richard Dawkins"، وغيرهم الكثير، ليحاولوا إنقاذ النظريّة من أجل أن لا تسقط، فبرّر ريتشارد دوكينز مثلا وجود الجين الأناني، وقام بصياغة مصطلح "ميم"، وألف كتابه الشهير "الجين الأناني- The Selfish Gene" ليدعم راية التطور، وأن الحياة جاءت عن طريق الصدفة! وقالوا أيضاً أن هناك تفاعلات جويّة وكيميائيّة جعلت في هذه الخليّة الحياة! ولقد رددت عليهم في كتابي "رحلتي في البحث عن الإله" مستنكراً: "كيف أتت الحياة من أللاحياة؟! وكيف أتى العلم من أللاعلم؟! وكيف أتى العقل من للاعقل؟).

البروفيسورة بفم مملوء: "الصدفة".

العبد الفقير لله ضاحكاً: "إذاً عدت لإله الصدفة!".

طفت في عيوني على الجالسين حول الطاولة قائلاً: (تخيّلوا معي أنّه وقبل ٣ مليار سنة نشأت بالصّدفة وحدة المعالجة المركزية "CPU"، ومكثت تتربع على صحن الأرض لوحدها ٢ مليار سنة، ثم بفعل الإشعاعات والكثافة ودرجة الحرارة العالية عليها تمّ توليد أجهزة الاستشعار، والتي وبفعل الصدفة انبثقت منها أجهزة استشعار الضوء، ثم أجهزة استشعار الصوت، ثم أجهزة استشعار درجة الحرارة، ثم أجهزة استشعار الإتصال، ثم أجهزة استشعار القرب، ثم أجهزة استشعار المسافة، ثم أجهزة استشعار الضبط، ثم أجهزة استشعار تحديد الموقع، وبعد ذلك ظهرت المحركات لوحدها، وسالت فيها الزيوت والكهرباء والمغناطيس بيد الصفة أيضا، ثم تجلت وحدات التحكم وانتقلت في طناياها السيّالات العصبية دون تحفيز أو محرك، ثم بانت المؤثرات، ثم مصدر الطاقة، ثم قامت الصدفة بتنزيل البرنامج في العقل "Software"، وبعد الإنتهاء من تركيب القطع"Hardware "، أحدثت الطّبيعة تفاعلات فيزيائيّة معينة، مّما أدّى إلى ربط كل هذه الأجزاء والمداخل ببعضها البعض، بطريقة مُتّسقة ومتناغمة لتتشكّل لنا في النّهاية رجل آلي "robotman"، هذه هي نظرية التطور باختصار! هل يعقل هذا؟ هل يُعقل أن أُغلب على عقلي وأن أصدّق هذا الهُراء!؟ هل يُعقل يا تشارلز داروين أن أصدّق أنّه وقبل ٣ مليار سنة نشأت بكتيريا لوحدها، ومكثت تتربّع على صحن الأرض ٢ مليار سنة، ثمّ نشأت

منها كائنات وحيدة الجينوم، ثمّ كائنات بسطية الخلايا "كالديدان والإسفنج"، ثمّ حدث الإنتواع "Macroevolution" لتنتج أنواع جديدة من القديمة، "فظهرت الأسماك ثم البرمائيّات ثم الثديّات إنتهاءً بظهور ال Pan وال Homo من سلف مشترك!؟ ثم إنحدر الإنسان إلى سبعة أصناف "Homo habilis"، "Homo erectus"، "Homo heidelbergensis "، "Homo neanderthalensis "، "Homo sapiens"، إنتهاءً إلى الإنسان العاقل "Homo Sapiens Sapiens"؟! ولا يوجد خلق ولا تصميم، الطّبيعة هي التي فعلت هذا في زمانيّة طويلة ممتدّة؟! هل يُعقل أنّ أصدّق هذا السُّخف والخَطل والرّكاكة!؟ أنا إنسان علمي، لا يمكن أن ينطلي علي مثل هذا الهراء؟! وإذا كنتم تعتقدون أنكم قردة فهذا شأنكم!!).

استدار الضحك على فم الجميع: "لا.. لا إحنا مش قرود هههه"، حتى دعك الغضب جسد البروفيسورة فقالت: "وما الذي يثبت أن هناك خالق من الأساس؟".

العبد الفقير لله: "أفهم من ذلك أنك ملحدة؟".

البروفيسورة: "لست ملحدة بالمعنى الحرفي، ولكني لاأدرية، ولم يثبت لي الى الآن وجود إله لهذا الكون وما فيه".

العبد الفقير لله: (اللاأدرية "Agnosticism" هو مصطلح صكّه عالم الأحياء والأنثروبولوجيا الإنجليزي توماس هنري هكسلي "Thomas Henry Huxley"، والذي كان كلباً لداروين لدفاعه المستميت عن نظرية التطور حتى لقب ب "بلدوغ داروين"، وقد صك مصطلحه لأنه لا يملك المعرفة الكافية ليؤكد أو ينفي وجود الله بشكل يقيني، وكما أنه وضّح أنه لا ينبغي ادعاء المعرفة في أمور لا يوجد دليل عليها، وأنا أرد عليه وعليك بنفس المنطق: "لا يوجد أي دليل معرفي أو علمي على وجود التطور! وبالتالي هي ما زالت نظرية، ولم ترتقي بعد الى لتصبح حقيقة العلمية"، فلماذا آمنت بها وكفرت بالإله؟!).

البروفيسورة مراوغة: "من قال لك هذا؟ يوجد أدلة علمية كثيرة على وجود التطور! كالأحافير وغيرها".

العبد الفقير لله كاشفاً للحقيقة: (تقصدين حفرية طائر الأركيوبتريكس "Archaeopteryx"، اكتشف العلماء أنها ترجع إلى ٢٢٠ مليون سنة، وهي لكائن مغطى بالريش، ولديه عراق ريشة مجوف، وعظمة ترقوة تماما مثل الطيور المعروفة لدينا اليوم، وهذا ما أبطل الإدعاء التطوري بأن الأركيوبتريكس هو الكائن الانتقالي و"الحلقة الوسطى" الذي انحدرت منه الطيور، لأن هذه الحفرية "الأركيوبتريكس" تحتوي على ذات الصفات التي فيها كل صفات الطيور فأسنانه مفلطحة غير مشرشرة وجذورها عريضة، عكس أسنان الديناصورات رباعية

الأطراف ذات الجذور الحادة، كما قارن الباحثون عظام كاحلها مع مقابلها في الديناصورات، ولم يجدوا أي تشابها بينهما!! وكشفت دراسة من علماء التشريح أن التطوريين أخطأوا في ادعائهم، فعند تحليل منطقة الأذن لدى الحفرية اكتشف أنها شديدة الشبه بنظيرتها في الطيور الحديثة الموجودة اليوم، مما أبطلت هذه الحقيقة كل فرضيات التطور القائلة بأن الأركيوبتريكس هو السلف البدائي للطيور، وأكدت أن الطيور لم تأت من الديناصورات، ناهيك عن تزوير الحفريات لكي لا تسقط نظرية التطور، كتزويرهم أحفورة إنسان بلتداون أو حفرية رجل الأورك "Piltdown Man"، وسمكة السيلكانثوس "Coelacanthus" ، وحفرية الروديستوس "Rodhocetus"، وأحفورة أركيورابتور "Archaeoraptor "، وأحفورة إنسان بحيرة رودولف أو ما يعرف بهومو رودولفينسيس "Homo rudolfensis"، وغيرها الكثير، حتى أن هناك علماء أنكروا التطور، ومنهم عضو في مركز العلوم والثقافة في معهد ديسكفري، الفيلسوف الأمريكي ديفيد بيرلينسكي " David Berlinski"، ومع أنه لاأدري المعتقد إلا أنه ناقد لنظرية التطور، وهو أشهر من انتقد التطور، حيث يرى أنه يروج بين الناس باسم العلم والحقائق، وذلك بعدما زادت شكوكه الكثيرة حوله كلما تقدمت العلوم، وقد أعلن ذلك على الملأ في مجلة "كومينتاري" عندما قال أنه متشكك في التطور في مقال بعنوان "انكار داروين" نثره عام 1996م، في السنوات الأخيرة قام بوضع كتابه الشهير "وهم الشيطان" عام 2008م، ولهُ حوارات مليئة باعترافاته من سخرية العلماء الحقيقيين من التطور والغائره بالاستهزاءات العلمية من افتراضات التطور الخيالية ونقاط ضعفها القاتلة، كما أن أهم أقطاب العلم في القرن الثامن عشر، الفرنسي جورج كوفييه "Georges Cuvier"، وهو من أبرز الذين دافعوا عن الخلق المباشر، والرياضياتي والفيلسوف الاميركي " ألبرت وليام " المشهور ب"وليم ديمبسكي William Albert "Bill" Dembski"، والذي عارض بشدة نظرية داروين من خلال الانتقاء الطبيعي، حيث قال ديمبسكي أنه عندما يبدي شيء ما تعقيداً متخصصاً "أي عندما يكون معقداً ومتخصصاً بنفس الوقت" فإننا نستطيع أن نقول أنه قد أُنتج من قبل مسبب ذكي "أي أنه قد صُمم"عوضاً عن القول بأنه كان نتيجة للعمليات الطبيعية، كما ووضّح أن تفاصيل الكائنات الحية يمكن أن توصف بشكل مشابه. خصوصاً نماذج التتابع الجزيئي في الجزيئات البيولوجية الوظيفية مثل الحمض النووي الريبوزي منقوص الأكسجين، ولذلك كان من دعاة التصميم الذكي ، ومؤيدو التصميم الذكي يعتبرونه كبرنامج للبحث العلمي يحقق في آثار المسبب الذكي "التصميم الذكي يدرس آثار المسبب الذكي وليس المسبب الذكي نفسه"، وهو صاحب كتاب "تصميم الحياة" مشاركة مع جوناثان ويلز، ويعد الكتاب من بين أقوى ما كتب في النقد العلمي

للنظرية، والباحث في مجال العلوم الاستعرافية، الفيلسوف الأمريكي "جيري فودور Jerry Fodor"، وعالم اللغويات والحيوية الدكتور الإيطالي "ماسيمو بياتيلي بالمارينيMassimo Piattelli-Palmarini"، الأول بروفيسور الفلسفة وعلم الإدراك بجامعة ولاية نيوجيرسي، والثاني بروفيسور الفلسفة وعلم الإدراك بجامعة ولاية أريزونا، بدأ الأول بالتشكيك في حقيقة وجود الانتخاب الطبيعي وذلك في كتاب "لماذا لا تملك الخنازير أجنحة؟" والذي نشر سنة 2007م بمعرض لندن للكتاب، ثم شارك مع ماسيو في إصدار الكتاب الصادم وهو كتاب "ما أخطأ فيه داروين What Darwin Got Wrong " عام ٢٠١١ م، وكتب في مقدمته أنه نقد علمي وليس ديني، أو ما شابه، وذلك حين قالا: "هذا ليس كتابا عن الله، ولا عن التصميم الذكي، ولا عن الخلق، ليس أيّاً من أحدنا متورط في شيء من ذلك، لقد رأينا أنه من المستحسن أن نوضح هذا من البداية، لأن رأينا الأساسي فيما يقضي بأن هناك خطأ ما وربما خطأ لدرجة قاتلة في نظرية الانتخاب الطبيعي"، وأستاذا جامعة كاليفورنيا والمختص في علم الكيمياء الحيوية، ومساعد رئيس معهد أبحاث الخلق في أمريكا ، الكاتب الأمريكي "دوان كيش Duane Gish"، والذي شارك في العديد من المحاضرات الجامعية والمؤتمرات الدولية، للرد على نظرية التطور بأسلوب علمي وحضاري، وله عدة أبحاث بيّن فيها عدم صحة نظرية التطور، وقد جمع محاضرته في كتاب بعنوان " هل تعرضت لغسيل الدماغ؟"، ومن كتبه أيضا "المتحجرات" والتي ترد على نظرية التطور بالرفض).

البروفيسورة وصدرها يغلي: "محمد.. أنت تستشهد بأعداء التطور والحاقدين عليه، حبذا لو تتحد بشفافية أكثر بما أنك مفكر إسلامي ومنهجك علمي وفلسفي!".

العبد الفقير لله: (ماذا عن عالم البيولوجيا الأسترالي "مايكل دنتون"Michael Denton"، المتخصص بعلم الوراثة البشري التطوري، و الذي كان يؤمن بالتطور في السابق إلى أن بدأ يكتشف بنفسه مع التقدم الرهيب في البيولوجيا الجزيئية "Molecular Biology" عشرات الثغرات القاتلة عن التطور، فقام ساعتها بوضع كتابه الشهير "التطور نظرية في أزمة"، وهو من أوائل الكتب التي قلبت نظرية التطور رأسا على عقب في العصر الحديث، وكان ذلك عام 1985م، وله مشاركات عديدة في وثائقيات علمية عن الدقة المتناهية وعلامات التصميم الذكي في الحياة والأرض والكون وصولا إلى الإنسان، حيث ترجم أعماله في كتابه "قدر الطبيعة" عام 1986م!! وماذا عن عالم الكيمياء الحيوية الأمريكي "مايكل بيهي Michael Behe"، والذي راودته شكوك كثيرة أيضا عن نظرية التطور، وبسبب تخصصه العلمي الدقيق والاكتشافات العلمية الأخيرة كفر بالتطور، وخصوصا عندما قرأ كتاب "التطور نظرية

في أزمة" لمايكل دنتون، ووجد أن كل النقاط التي ذكرها بالفعل طعنت التطور الصدفي والعشوائي ، فقام بتأليف كتابه الشهير "صندوق داروين الأسود" عام ١٩٩٦م، وأصبح من مناصري التصميم الذكي، وهو من أشهر من أسسوا ووضعوا قواعد التصميم الذكي أو الصنع المتقن في شكلها الأكاديمي الأخير، وخصوصا نقطة التعقيد الغير قابل للإختزال، ودلالاته على استحالة التطور التدريجي العشوائي عبر الزمان، وبراهينها الغائية لظهور الأعضاء المعقدة مرة واحدة من جهة مصمم ما!! ماذا عن عضو مركز العلم والثقافة التابع لمعهد ديسكفري، عالم البيولوجيا الخلوية والجزيئية الدكتور الأمريكي "جوناثان ويلز Jonathan Wells"، والذي كان من أشد المؤيدين للتطور ثم عدل عنه، حيث تراجع عن إلحاده إلى المسيحية، وصار من أعداء نظرية التطور، وألف كتابه الشهير "أيقونات التطورعلم أم خرافة" عام ٢٠٠٢م، وأيضا له كتاب "تصميم الحياة" مشاركة مع ديمبسكي، ومع دراسته للبيولوجيا الجزيئية ومع الاكتشافات الحديثة أيضا الناطقة بعلامات الغائية والخلق أصبح من أنصار التصميم الذكي!! ماذا عن أشهر المعماريين في الولايات المتحدة، المعماري الأمريكي "فيليب كورتيليوو جونسون Philip Johnson"، والذي كان تطورياً، فتركها، وأفاق بدوره على كتاب "التطور نظرية في أزمة" لدنتون، وبدأ في التوسع في القراءة، ومتابعة آخر الأخبار العلمية ،إلى أن تيقن تماما من أخطاء التطور، وأنها لا تعدو تزييفات وتكهنات خيالية لا يدعمها أي دليل عقلي أو علمي تجريبي صحيح، وعلى أثر هذا صار من أشهر من ينتقدون التطور في أمريكا، وله مجموعة كتب كذلك من بينها "هزيمة الداروينية"، وكتاب "محاكمة داروين"، وكتاب "الاعتراضات الوجيهة للتطور وأشياء"!! ماذا عن أستاذ جامعة "ستوني بروك" عالم الأحياء التطوري الأمريكي البارز " دوجلاس فوتويما .Douglas J Futuyma" والذي كان تطوّري، ومن خلال تجاربه أعلن توبته، وألّف كتب عديدة ضد نظريّة التطوّر!! ماذا عن الفيلسوف البرطاني " أنطوني جيرارد نيوتن فلو Antony Flew"، لقد كان أشرس الملحدين في العالم ومن عباد التطور، ومن خلال تجاربه على الخليّة وتعقيدتها وتركيباتها أعلن توبته ورمى بالتطور في عرض الحائط!! ماذا عن عالم البيولوجيا الجزيئية الدكتور الأمريكي فرانسيس كريك" فرانسيس هاري كومبتون كريك Francis Crick "، مكتشف أعظم اكتشاف في القرن العشرين "DNA " وهو أيضا من أكبر المدافعين عن نظريّة التطوّر، وقام بعمل تجربة من خلال DNA، فصرّح: "مستحين أن يكون هناك تطوّر، بل هناك خلق هنك إله!").

البروفيسورة وهي تفتش كالمحمومة عن منفذ: "على العموم.. التطور لا يمكن أن نعاينه، وهو يحتاج إلى ملايين السنين كي نثبته، لذلك التطور يبقى قيد النظرية، ولا يمكنك أن تنفيه أبدا، ولكن يمكن أن نثبته، وسيأتي يوما لتتحول النظرية الى حقيقة علمية؟".

العبد الفقير لله موجها الضربة القاضية: (عالم الكيمياء والأحيائي الأمريكي "ستانلي لويد ميلر Stanley Lloyd Miller"، وهو يعمل صيدلي، وقد كان من أنصار نظريّة التطوّر بعد أوبارين، أجرى الكثير من التّجارب على أصل الخليّة الحيّة الأولى، وانتهت تجاربه بالفشل!! والعالم كيميائي الفرنسي " لويس باستور Louis Pasteur " وهو وأحد من أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطب، أثبت خطأ نظرية التطور وأسسها ، ووصل الى أن المادّة لا يمكن أن تنظّم نفسها بنفسها!! عالم الكيمياء الحيويَّة السوفيتي " ألكسندر إيفانوفيتش أوبارين Алекса́ндр Ива́нович Опа́рин"، وهو من أنصار نظريّة التطوّر ، قام بالعديد من الأبحاث لإثبات ان الكائنات كلّها أتت من ظهور الخليّة الحيّه الأولى عن طريق الصّدفة، من مادّه غير حيّه والتي ظهرت منها كل الكائنات، وانتهت أبحاثه بالفشل ، ولا زالت معضلة أصل الخليّة الحيّة الأولى هي الأكثر ضبابيّة في نظريّة التطوّر !! وأستاذ الكيمياء البيولوجيّة الشّهير "جيفري بايدا Jeffrey Baida"، وهو أيضا من أكبر المدافعين عن نظريّة التطوّر، صرّح لمجلّة الأرض عام ١٩٩٨ م قائلا: "وصلنا الى القرن ٢١ ونحن حتّى الآن لم نقوم بحل المشكلة التي أثيرت في القرن ١٩ و ٢٠ وهي كيف بدأت الحياة على الأرض؟"، يا بروفيسورة.. لا يوجد كشف علمي واحد أو نظريّة تجريبيّة واحدة تؤيّد ركيزة النظريّة، وكل الوسائل التي جرّبت وعملت أثبتت بطلان النظريّة وفشلها!! التطور الى الآن يعجز عن الإمساك بالحلقة الوسيطة والمفقوده في سلسلة التطور، والتي استحال بها الحيوان الى إنسان!! وأبشرك انه لن يجدها، يا بروفيسورة لي ١٢ كتاب ومؤلف، وأنا أقوم بتشييد كتاب كبير يتحدث عن يطلان نظرية التطور وفشلها من ناحية علمية بحتة، ولكن أحب أن أخبرك أن أصل الأنواع في المجتمع الأكاديمي لا ينجم إلا عن علّتين: الأول "التطور"، والثانية "الخلق"، التطور يقود الى الإلحاد، والخلق يقود إلى الإيمان، التطور يؤشر على المادة، والخلق يؤشر على الله سبحانه، والإيمان أن هناك خالق هو العلة الوحيدة لوجود الشيء والكون وما فيه من أشياء وعلى رأسها أعلى وعي فيه، ألا وهو "الإنسان"، والذي يسأل الآن "من الذي خلق الشيء؟"، "وكيف جاء الكون؟"، قال تعالى: " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ"، وقال تعالى: "اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ").

انتزع الحوار كاتب وأديب حاصل على درجة الدكتوراة من احدى الجامعات الغربية، والذي عرّف عن نفسه دون خجل: (أنا ملحد.. ولماذا لا تكون المسألة من الأساس "حالة ثابة، أو حالة مستقرة" كمال قال عالم الفضاء والرياضيات البريطاني "فريد هويل Fred Hoyle "، "وتوماس غولد Thomas Gold"، "هيرمان بوندي Hermann Bondi"؟ علم ال "Cosmology" الفيزيائي يؤكد ذلك؟).

العبد الفقير لله: (تقصد "Steady State theory"، وهذه النظرية تعرف بالنموذج الكوني القياسي من وجهة نظر الحالة الثابتة، حيث هناك مادة جديدة تتشكل وتخلق باستمرار مع توسع وتمدد الكون، بحيث يؤمّن الحفاظ على المبدأ الكوني المثالي "perfect cosmological principle"، وللعلم أن عدد كبير من الداعمين لهذا النموذج ضمن علماء الكون في العصر الحديث، إلا انه كان له مؤيديه خلال فترة الخمسينات والستينات من القرن الماضي، وأحيطك علما أن عدد داعمي هذه النظرية نقص بشكل ملحوظ في أواخر الستينات مع اكتشاف إشعاع الخلفية المكرويّة الكونية "cosmic microwave background radiation" ، وفي الوقت الراهن لم يبق من مؤيدي هذه النظرية إلا أعداد ضئيلة، ويبدو أنك منهم).

درت بوجهي نحو الجميع موضحاً نص النظرية: (النّظريّة تقول باختصار.. الكون ليس له بداية، وليس له نهاية، والكون موجود أبدا وأزلا، وهذه النّظريّة تتحدث عن "الحقل التخليقي"،هذا الحقل يعمل على تخليق جسيمات المادّة، وبالتّالي الكون يتّسع باستمرار لتعويض الكثافة النّاقصة التي تخلق المادّة باستمرار ،الكون يتتابع في كل زمان وفي كل لحظاته عبر الزّمان، هو هو لم يتغيّر، بمعنى: "أن مادة الكون في حالة خلق دائم ومتكرر"، مكثت النّظريّة عشرة سنوات، وكانت ضد نظريّة الانفجار العظيم حتى عام ١٩٦٥م، عندما اكتشف العلماء "إشعاع الخلفيّة" وهو معروف باشعاع الخلفية الكونية).

الكاتب وقد شد الغضب حزامه على صدره: "لا يهم لنا توضيح المفهوم للنموذج، المهم أنها الحقيقة.. الكون أزلي ولا يوجد خالق له".

العبد الفقير لله: (النظرية فشلت لأسباب عديدة، أولها جاء من عدم قدرتها على تفسير نشوء الهيدروجين ووفرته الضخمة في الكون، فهو الى جانب الهيليوم أكثر العناصر وفرة في الكون، وهما كذلك أخف وأبسط ذرتّين من عناصر الجدول الدوري، وثانيها تفسير الإنفجار الكبير يشير بوضوح الى نقطة بداية نشأ منها الكون الذي نعرفه، وهذا يخالف بصراحة أزلية الحالة الثابتة، مما جعل هويل أشد منتقدي النظرية وأكثرهم كرها لها، يناصبها العداء في كل محفل، الا ان المعسكرين تمسكاً بأرائهما بعناد حتى عام ١٩٦٤م، حيث افادت الحسابات انه في حال حدوث الإنفجار العظيم فانه لا بد من وجود آثار لذلك الإنفجار على هيئة امواج ميكروية يمكن رصدها، التي سميت باشعاع الخلفية الميكروي الكوني، وقد تمكن بالفعل العالمان" أرنو بنزياس" وزميله "روبرت ويلسون" من كشف و تسجيل تلك الموجات التي جاءت مطابقة لحسابات نظرية الإنفجار الكبير، فكانت على شكل موجات راديوية منتشرة بالتساوي في كل ارجاء الكون، الأشعة الراديوية المرصودة لا تتغير من مكان لمكان، وإنما منتشرة بالتساوي في جميع أركان الكون، وتوجد قمة هذا الإشعاع في حيز طول موجة ١,٩ مليمتر بتردد ١٦٠,٢ مليار هرتز، وهي ايضا المسؤولة عن درجة حرارة الكون المقدرة

ب 2.725 درجة كلفن "٢,٧٢٥ درجة فوق الصفر المطلق"، وقد حاز العالمان على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٧٨م بسبب ذلك، يبدو من الواضح أن الكون ليس ازلياً، بل انه محكوم ببداية، ويمكن ايضا حساب تاريخ تلك البداية يا عزيزي الكاتب، فأفضل الحسابات المتداولة يقدرها علماء الكونيات "Cosmology" حاليا تقدر ان بداية الكون كانت منذ ١٣,٧ مليار سنة).

الكاتب وجمرات الترقب تقتله: (ألم تكن نظرية الإنفجار العظيم التي استشهدت بها كدليل الآن هي السبب في القول بأزلية الكون كما قال العالم الفيزيائي "ستيفن هوكينج Stephen William Hawking"، وأن الكون يولد نفسه بنفسه من خلال عملية الإنفجار "Big Bang" المستمرة!؟ وهذا المفهوم طرحه ستيفن هوكينج في كتابه "التصميم العظيم The Grand Design"، حيث يرى أن قوانين الفيزياء، مثل الجاذبية وميكانيكا الكم، تجعل الكون قادرًا على خلق نفسه من العدم دون الحاجة إلى تدخل إلهي، ولذلك يا أستاذ محمد لا يوجد صانع لهذا الكون وما فيه بكل بساطة).

العبد الفقير لله: (أنت تعلم أن النظرية يا عزيزي الكاتب هي محاولات الإستدلال لاستقصاء المعرفة وراء حواجز الحواس، ولكل نظام وحدة بناء، فاذا كانت الذّرة هي وحدة بناء المادّة، والخليّة هي وحدة بناء الكائن الحي، و"DNA" هي وحدة بناء الكروموسوم، و "النيوكليوتيد" هي وحدة بناء ال "DNA"، فإن الفرد هو وحدة بناء النظريّة).

الكاتب: "ما علاقة الانفجار الكبير بالنظرية؟! إنها الآن أضحت حقيقة علمية! ويجب التعامل معها على أنها حقيقة".

العبد الفقير لله: (سأوضح لماذا انشعبت بالسبل، المعظم لديه علم أن الفرضية هي عبارة عن تصوّر يُطرح قبل إجراء أي بحث، ولم تختبر تجريبيّاً بالشكل الكافي لاختبار لصحتها، بينما النظرية هي قائمة على براهين علمية تم اختبارها تجريبيّاً بشكل كاف، وصيغة لتفسير ظواهر طبيعية، والنظريّة كيان له وحدة بناء، ووحدة بنائه "الفرض"، والفرض هو احتمال يقدّره الباحث لعامل أو عوامل التي تسببت في حدوث المشكلة التي يراد حلّها وتفكيكها، أو الظّاهرة الطبيعية التي يراد تفسيرها، أو المجهول الذي يراد الكشف عنه، ونظرية الانفجار العظيم "Big Bang" كانت فرضية قدمها الكاهن الكاثوليكي والعالم البلجيكي "جورج لومتر Georges Lemaître"، وتحوّلت الى نظرية عام ١٩٢٧م، حيث انطلق العلماء من فكرته الأولى حول تمدد الكون لتتبُّع أصل الكون، وعن تداعيات تكوّن الكون الحالي، فاعتمد الإطار العام لنموذج الانفجار العظيم على نظرية النسبية العامة " General theory of relativity"لعالم الفيزياء الألماني " ألبرت أينشتاين Albert Einstein"، وعلى تبسيط

فرضيات كتجانس نظم وتوحد خواص الفضاء، وقد صاغ عالم الكون الفيزيائي والرياضياتي السوفيتي "ألكسندر فريدمان Алекса́ндр Алекса́ндрович Фри́дман" المعادلات الرئيسية للنظرية، وأضاف عالم الفلك الفيزيائي والرياضياتي الهولندي "دي سيتر De Sitter" صيغ بديلة لها، وفي عام ١٩٢٩م اكتشف الفلكي الأمريكي " إدوين هابل Edwin Hubble" أن المسافات إلى المجرات البعيدة مرتبطة بقوة بانزياحها الأحمر، استُنتج من ملاحظة هابل أن جميع المجرات والعناقيد البعيدة لها سرعة ظاهرية تختلف عن فكرتنا بأنها كلما بَعُدت زادت سرعتها الظاهرية، بغض النظر عن الاتجاه، وأصبحت النظرية حقيقة سنة ٢٠١١ م).

أدمت النظر صوب أعين الكاتب: (كان هناك جرماً لا يستطيع أي عقل بشري تخيّله، وهو أيضا في مكان لا يستطيع العقل البشري تصوّره، وفي كثافة بمكان لا تستطيع تدركه، ومن الطّاقه بمكان لا تستطيع ملاحظته، حتى قوانين الفيزياء تعجز عن تفسيره! هذا الجرم كان فيوضع خطيروحرج، ثم حصل انفجار، والانفجار ولّد دخان كثيف -وفي المختبر أي جسم وضعه حرج عندما ينفجر يتولّد دخان- الدخان أصبح يتقارب بفعل الجاذبيّة، ثم تكوّنت المجموعات الشمسيّة، والمنظومة الشمسيّة كوّنت المجرّات، والمجرّات كوّنت داليات، والدّاليات كوّنت عناقيد، والعناقيد كوّنت الصّدم، ثم الكوازار، ثم أشباه الكوازار.. هذه باختصار عمليّة الإنفجار العظيم، الكون قبل ١٠ مليار سنه كان صغيراً، وكان فضاءً متناهي الصغر، ثم حدث شيء سبّب حدوث أعظم انفجار في الكون في جزء من المليار من المليار من المليار من الثانية! نما الكون من حجم صغير -كحجم رأس الدبوس- ليمتد حتى مليارات الكيلومترات، ثم وجدت كل الأشياء التي نراها اليوم في هذا الكون، والعجيب أن هذا الانفجار حدث دون صوت! ونتج عنه نظام دقيق جدا! ونجم عنه الزمان والمكان اللذان قفزا الى حيّز الوجود! والعلم توقف عند نقطة الإنفجار العظيم، السؤال: "ماذا كان قبل الانفجار العظيم؟").

الكاتب: (ذرات تهيم في الكون لوحدها، لم يخلقها أحد، ولم تحركها يد، بالاصطدام العشوائي تلاقت الذرّات مع الذرّات فكوّنت الجزيئات، والجزيئات مع الجزيئات كوّنت العناصر، والعناصر مع العناصر كوّنت مخاليط المركّبات، ثم نشأت الحياة وصولا إلى الإنسان.. هذا هو تفسير "ميكانيكا الكون"، وهذا قول علماء المادة "Materialist scientists").

العبد الفقير لله مضيقا قضبان الأسر حول تفكيره: (من الذي أنشأ هذه الذرّات؟ ومن هو المحرك الأول لها؟ أنا اليوم أعيش في كون ضخم جدّا نصف قطره ٩٣ مليار سنة ضوئيّة، هذا الكون نشأت فيه الحياة العاقلة والذكيّة متمثّلة بأعلى وعي فيها، ألا وهو الخليفة الذي يقف الآن ويطرح مسألة الإنفجار العظيم، ويسأل أسئلة من جملتها: "كيف نشأ هذا الجرم؟ من الذي أوجد هذا الجرم؟ أو بالأحرى من الذي خلق هذا الجرم؟ وهل هذا الجرم إنفجر لوحده؟! وهل

يعقل أن ينفجر شيء لوحده! أم أنّ هناك يداً قامت بتفجيره! وهذه الأجرام التي تتحرك، هل تتحرّك لوحدها، أم أنّ هناك من قام بتحريكها؟! من هو المحرّك الأوّل؟ هل تعلم أنه بين كوكب المريخ والمشتري يوجد كويكبات عبارة عن جبال طائرة، تتراوح من جسم صغير الى جسم وزنه ٨٠٠ كيلو، لو اصطدمت في الأرض فإنها ستدمر نصف الكوكب! عدد هذه الكويكبات ٥٠٠٠٠ كوكب تقريبا، ولا زال السؤال حولها يحوم : "من أين أتت هذه الكويكبات؟"، فوضع علماء الاسترونومي ال"Astronomy" و "Astrology" أربعة إحتمالات، الأول: "أنه كان كوكب بين المريخ والمشتري وتمزّق الى أشلاء نتيجة الشّد من الطّرفين!"، الاحتمال الثاني: "أنهم كانوا كوكبين، ثم اصطدموا في بعضهم مِما أدّى الى انفجارهما!"، الاحتمال الثالث: "أنها كانت كويكبات، وفشلت في أن تتجمّع لتتشكل كوكب كبير!"، والاحتمال الرابع: "نشأت مع المجموعة الشّمسيّة!"، والى الآن يعجز العلماء عن تفسير وجود هذه الكويكبات ومصدر نشأتها؟!).

الكاتب باستخفاف: "نتيجة تراكم تدريجي على مدار الزمن عن طريق الصدفة والانتخاب الكيميائي"chemical evolution" ، ومن ثمّ فنحن إزاء تفاعلات وتراكميّة عمياء دون توجيه وغائيّة، تنتجُ هذا التعقيد والنظام المتقَن".

العبد الفقير لله ماضغاً طمأنينة الكاتب: "بما أننا نتحدث علميّا، فأحب أن أخبرك أن أهم علم في العلوم الطبيعية ألا وهي الفيزياء "Physics" والتي تهتم بدراسة المفاهيم الأساسية "لمادة، الطاقة، القوة، الزمان، والمكان"، وكيفية تفاعلهم وتأثيرهم في الكون، والتي يجتهد من خلالها أعظم علماء الفيزياء "Physicist" وعلماء الكون "Cosmologists" وعلماء الفلك "Astronomers" إلى اكتشاف قوانين كمية لتفسير الظواهر الطبيعية والمختلفة، بدءًا من أصغر الجسيمات الأولية، وصولًا إلى المجرات الواسعة، يعتمدون ويرتكزون على الرياضيات، وصحيح أن الرياضيات ليست من العلوم الطبيعية، ولكنها لها علاقة وطيدة بها، حيث أن الرياضيات هي أساس الفيزياء، وهي التي توفر لها الأدوات والمفاهيم اللازمة لفهم ووصف الظواهر الطبيعية، والفيزياء من دون الرياضيات تنتهي، حتى أن الرياضيات تجاوت كونها علما الى لغة، حيث أن الرياضيات هي لغة العلم التي تُصاغ بها القوانين الفيزيائية، كالهندسة لوصف الفضاء في النسبية العامة، والتفاضل والتكامل لحساب الحركة وقوانين نيوتن، و احتمالية الصدفة في الرياضيات ضئيلة لدرجة استحالتها "statistically impossible"، لذلك هي تعتبر علم يقيني!! لذلك "الصدفة" غير معترف بها في الريضايات، وبالتالي غير معترف فيها بالفيزياء!! وبهذا يسقط مبدأ الصدفة ومفهومها بالنسبة للعالم الحقيقي).

لف اليأس جسد الكاتب، ولكني أردفت: (كما أنه ومن ناحية تفكير منطقي فإن كل انفجار يكون ذا صوت كبير وهائل ومخيف، لكن هذا الانفجار لم ينجم عنه أي صوت! وكل انفجار يخلّف دماراً شاملاً وخراباً وفوضى عارمة، لكن هذا الانفجار ترك ورائه نظام دقيق جدّا ومنضبط وقوانين تسيّره! كل انفجار يخلّف ورائه يخلّف ورائه القبح، ولكن هذا الإنفجار ترك ورائه جمال ولا أروع من ذلك! كل انفجار يخلّف ورائه الموت والهلاك، لكن هذا الإنفجار ترك ورائه الحياة والإنسان! هل يعقل أن يكون كل ذلك صدفة؟! أم أنّه بفعل فاعل وقدير وحكيم وعليم وخالق!).

صمت الكاتب كما تلك الجثة في قبرها، ولكني أتبعت: (الكون عبارة عن زمان ومكان ومادّة وطاقة، لو توفّرت الأربعة أشياء لكل علماء الأرض، هل يستطيون بناء كون آخر لنا؟! لا يستطيعون خلق جناح بعوضة.. فكيف بخلق كون؟)

ثم وجهت الضربة الأخيرة للكاتب: (انت تقول لي -إنفجار عظيم- يعني أنّ هناك بداية له! اذا فهو كون ليس أزلي ولا أبدي؟! ومادام له بداية، إذا له نهاية، وهذا ما قاله عالم الفيزياء البريطاني "بول دافيس Paul Charles William Davies"، حيث اقترح نموذجاً محدداً لتفكك الكون، ووضع السيناريو الافتراضي للمصير النهائي للكون، حيث ينعكس تمدد الكون في النهاية وينهار الكون، مما يؤدي في النهاية إلى وصول عامل المقياس الكوني الى الصفر المطلق! وهذه هي نظرية الانسحاق العظيم أو الانسحاق الشديد أو السحق الأعظم أو الضربة الاهتزازية "Big Crunch"، ولكن تبقى العقدة بالنسبة لكم، وللعلماء الماديّين والمتطوّرين واللادينيّون والملحدين، والتي ستظل تلاحقكم وتلازمكم للأبد! وهو السؤال الأول: "من الخالق؟"، هذه معضلتكم التي ستقتل كل أوهامكم وأحلامكم التي تركض خلف نفي الإله من الوجود ومن صفته الأساسية، وهو أنه هو الخالق وواجد هذا الوجود، بما فيه أنتم!!).

انحبس أنفس المنتظمون حول الطاولة بالمعنى الفكري حرفيّاً، حتى شهقت خبيرة وباحثة في علم الكون: (ومن قال لك في الأساس أن كوننا هو الكون الوحيد؟! قد يكون جزءًا من مجموعة أكبر من الأكوان، ما يُعرف باسم الأكوان المتعدد "Multiverse"، والتي اقترحها الفيلسوف اليوناني "أناكسيماندر Ἀναξίμανδρος"، والفيلسوف اليوناني "ديمُقْريطُس أو ديمقراط Δημόκριτος"، وتلاهم في الخمسينيات عالم الفيزياء الكمية الأمريكي "هيو إيفريت الثالث Hugh Everett III" والتي تُقدم تفسيراً بديلاً عن الأدلة الإلهية للكون "الضابط الدقيق" وهي التي وفرت سبباً لكل العلماء والأكاديميين والمؤمنين والمؤيدين لها رفض فكرة الخالق، أما الملحدين فقد كانت مخرجًا لهم من "مشكلة الضبط الدقيق" ففي حال وجود أكوان لا نهائية، فإن الكون الذي نعيش فيه قد يكون ببساطة هو "الكون الذي وُجدت فيه الظروف الملائمة للحياة" وليس بالضرورة نتيجة لوجود إله ولتدبير إلهي خاص!؟).

العبد الفقير لله: (اقترح "هيو إيفريت الثالث Hugh Everett III" نظريته وفق تجربة شرودنغر الذهنية للعالم الفيزيائي النمساوي "إروين شرودنجر Erwin Schrödinger" ليخرج من مشكلة القياس في ميكانيكا الكم وكيف تتفرع الأحداث الكمية إلى أكوان متعددة، فعندما افترض معادلة شرودنجر والتي حاز عبرها على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٣٣م، أو تجربته المشهورة "قطّة شروديجر Erwin Schrödinger cat" حيث تخيّل في التّجربة أنّه وضع قطّة في صندوق، ووضع الى جانبها غاز مميت، ومواد مشعّة، وجهاز يكشف هذه المواد، وشاكوش، وافترض احتمالين، الأول هو أن المواد المشعّة ستنتشر في الصّندوق المغلق، فيكشفها الجهاز، ثم يضرب الشاكوش زجاجة الغاز المميت، فينتشر في الصّندوق، فتموت القط! والثاني هو أن لا يحدث شيء في الصّندوق من الأساس، وستبقى القطّة على قيد الحياة! احتماليّة ان تعيش القطّة ٥٠% واحتماليّة أن تموت ٥٠%، وهكذا نحن في الاكوان المتوازية، قد أكون "أنا" في هذا الكون لا زلت أتنفس، وفي كون آخر قتلت برصاصة طائشة وأنا طفل صغير! هذه هي الفكرة، وهذه هي التّجربة باختصار.. وهيو إيفيرت عام 1954م كان يحضّر لرسالة الدكتوراة وكان هناك سؤال صعب في ميكانيكا الكم يواجهه، فجاء بفكرة الأكوان المتعدّدة، حيث قال بما معناه: "يوجد أكوان تشبه كوننا، وأن هذه الأكوان متوازية لا نهائية ومتفرّعة من كوننا ولها علاقه بنا، وكوننا أيضا متفرّع من أكوان أخرى متوازية، ويوجد فيها أشكال حياة لكن بنهايات مختلفة، يعني في كون موازي آخر الدّيناصورات لا تزال على قيد الحياة، فهي تكيّفت مع الظّروف وبقيت الى وقتنا الحالي، ويمكن أن يكون الإنسان في كوكب آخر موازي هو الذي انقرض! أليس كذلك؟).

الخبيرة: "أجل صحيح".

العبد الفقير لله: ((نظريّة الأكوان المتعدّد تقف على أربعة أقدام: المستوى الأول (هو مناطق وراء الأفق الكوني لنا، حيث أن الكون يتمدد إلى مالانهاية، وبنيته لها نفس الصفة، وخارج هذه الكرة التي هي كوننا أو الحدود المشكّلة له، توجد كرات لأكوان أخرى لانهائية أيضاً في حدودها وعددها، أما خصائصها تنطبق عليها نفس القوانين الفيزيائية، لكن مع اختلاف في الظروف الأولية، وأما الافتراضات حولها عبارة عن فضاء غير محدود، تتوزع فيه المادة الكونية ايرجوديكياً "ergodic"، والأسانيد هي قياسات الموجات المايكروية تشير إلى تسطح، وفضاء لا متناهي، ونعومة واسعة النطاق "النموذج الأبسط") بالنسبة للمستوى الثّاني (وهي نظريّة الأوتار "String Theory"، نشأت في أوّل الثّمينينات، وتقول بأن أصغر وحدة بناء لكل المواد على مستوى الكم ليس الكوارك "quark" ، كما أنها أصغر بكثير من مستوى البروتونات والنيوترونات والالكترونات وهي خيوط من الطّاقة صغيرة جدّا وتسمّى "أوتار"، وحسب شكل هذه الأوتار واهتزازها وتذبذبها يتحدّد معها نوع وسلوك المادّة -مثل وتر

الجيتار- والذي يعطي نغمات مختلفة حسب طريقة اهتزازه، وعند اهتزازه يتكوّن الكوارك والبروتونات والنيوترونات والالكترونات والخليّه، وهكذا، وقال العلماء ان الذي يؤثّر على شكل الأوتار هو بعد الزّمن للعالم ألبرت أينشتاين ، بمعنى أن هناك عوالم أخرى لا نستطيع أن نراها، والسّبب أنّنا نعيش في عالم له ثلاثة أبعاد ، والعلماء افترضوا وجود ستة أبعاد أخرى لكي نرى هذه العوالم والأكوان المتعدّدة، ونظرية الأوتار نشأت بواسطة الفيزيائي الياباني-الأمريكي "ميتشيو كاكو 加來 道雄" والمتخصص بمجال الفيزياء النظرية، ونظريته تقول بأنّ الكون له تسعة أبعاد، وأنها كتل البناء الأساسية لكل المواد، وأيضاً لكل القوى الفيزيائية في الكون - مثل الجاذبية- موجودة في مستوى تحت الكم، هذه الكتل البنائية تشبه أربطة مطاطية صغيرة جداً -أوتار- وهي التي تصنع الكواركات -جسيمات كمية- وتباعاً الإلكترونات، والذرات، والخلايا وهكذا، ويتحدد بالضبط أي نوع من المادة ينتج بواسطة الأوتار، وكذلك سلوك هذه المادة، حسب تذبذب هذه الأوتار، وتتذبذب الأوتار فتؤدي إلى نشوء القوى المختلفة الحاكمة للكون؛ بهذه الطريقة فإن كوننا بأكلمه عبارة عن عزف موسيقى، ووفقاً لنظرية الأوتار فهذا العزف يحدث عبر احدى عشر بُعدا منفصل) أمّا المستوى الثالث (فهو كون على شكل فقاعات "Bubble Universes" وهي نظرية لعالم الفيزياء النظرية "براين راندولف غرين Brian Greene" تتحدث عن فقاعة كروية متواجدة في كون أكبر، محتوي على عدد من الأكوان الأخرى أو "الفقاعات" الأخرى، وهكذا، خصائصه نفس المعادلات الأساسية للفيزياء، ولكن ربما بثوابت وعناصر وأبعاد مختلفة، والافتراضات حزله حدوث التضخم الفوضوي، والأسانيد عليها أن نظرية التضخم تفسر الفضاء المستوي، والتذبذبات ثابتة المقدار، وتحل مشكلة الأفق ومشاكل القطب الواحد، ويمكن أن تفسر طبيعياً مثل هذه الفقاقيع، كما أنها تفسر الثوابت المضبوطة، وفكرة العوالم الفقاعية نشأت من نظرية التضخم الأبدي، اقترحها العالم الفيزيائي والفلكي الأمريكي "آلان هارفي جوث Alan Goth" في الثمانينيات، هذه الفكرة تشير إلى أن بعض المناطق في الزمكان تستمر في التضخم، مولدةً عددًا لا نهائيًا من الأكوان الجديدة، حيث تتكون كل فقاعة كونية عندما تتوقف منطقة معينة عن التضخم وتتطور بشكل مستقل) والمستوى الرابع (هو العوالم المتعددة " MWI" وهي اختصار "Many-worlds interpretation" أو المعرفة باسم " Parallel Universes theory"، فحسب نظرية العالم هيو إيفيريت فإن وقوع أي حدث عشوائي معناه أنه احتمال من ضمن عدة احتمالات أخرى قد وقعت، مما يؤدي بنا إلى القول أن الاحتمالات الأخرى قد تكون وقعت في أكوان موازية لكوننا، أي أن هناك كون لكل احتمال من الاحتمالات المتوقعة، وخصائصه شبيهه بخصائص المستوى الثاني، والافتراضات حوله هي وحدوية الفيزياء، والأسانيد هي دعم تجريبي للفيزياء الوحدوية، والنموذج الأبسط رياضياً)).

الخبيرة باستعلاء: (إذن.. العلم يفسر كل شيء، وأيّة ظاهرة طبيعية يمكن تفسيرها تقع خارج نطاق التدخل الإلهي، وبالتالي يستخدم مفهوم "الله" لشرح مالا يستطيع العلم أن يفسره بعد، بكلمات أخرى.. يتم تفسير "الفجوات" فقط في المعرفة العلمية بأنها عمل الله، ومن هنا جاء المصطلح الشهير "إله الفجوات God of the Gaps"، فكلّما تقدّمنا في العلم قلّت الحاجة الى الله تعالى، فالعلم يفسّر الظّواهر واذا كان هناك شيء لا يمكن تفسيره نلجأ الى الايمان بالله مؤقتاً حتى ينجح العلم في تفسير هذه الظاهرة، فنتخلّى عن الايمان بالله لهذه المسألة أو الظاهرة، حتى يصبح العلم يفسّر كل شيء، وبالتّالي لا مكان للإله بيننا).

العبد الفقير لله: (يوجد الكثير مِمَّا لا يستطيع العلم الطبيعي تفسيره ببساطة، مثل أصل الوقت/الفضاء/ متوالية المادة وإنضباطها؛ أصل الحياة وتطورها؛ أصل الوعي؛ أصل أنظمة المعلومات المعقدة والمحددة الكامنة في كل الكائنات الحية التي لا يمكن -ولن يمكن أبداً- تفسيرها بطرق طبيعية، والمحاور المسيحي "هنري دروموند henry Drummond" هو الذي صكّ المصطلح "God of the Gaps إله الفجوات"، منتقداً أهل دينه "المسيحيّين" لأنّهم كانوا يتّجهون الى الفجوات العلمية والمعرفية لإثبات وجود الله "أي أن الله مرتبط في الفجوات ويعرف فقط من خلال الفجوات"، وعدا ذلك وأي ظاهرة يفسّرها العلم لا داعي لإقحام الله تعالى فيها! وأي ظاهرة علميّة أو طبيعيّة يعجز العلم عن تفسيرها ينسبونها لله تعالى! والعياذ بالله، هذا تشويه ديني؟!).

الخبيرة معترضة: "لماذا اعتبرته تشويه ديني؟! العلم سيصل في المستقبل لتفسير كل شيء! ولا يمكن لأي عاقل إنكار ذلك".

العبد الفقير لله: (لو فهمنا الكون وقوانينه، هل يعني ذلك أن الكون ليس لو واجد وخالق؟! لو جاء شخص واخبرنا بكيفية عمل جهاز الحاسوب، هل يعني ذلك أن جهاز الحاسوب ليس له واجد وصانع؟ وهل يعني ذلك أنه لا حاجه لنا للبحث عن من صنعه وصمّمه؟!).

تيبس نصف فم الخبير كقطعة الخشب، ثم أجابت بنصف فمها الآخر: "كلا.. بالتأكيد يوجد لجهاز الحاسوب صانع".

العبد الفقير لله بحديّة: (هناك فرق بين الأسباب والكيفية التي يعمل ويشتغل بها هذا الحاسوب، وبين سبب وجود الحاسوب؟! وبين من أوجد وصنع هذا الحاسوب؟! ما علاقة هذا بهذا! العالم الملحد يستدل عند اكتشافه آليّة التّصنيع لنفيه لوجود صانه! وهذا خطأ كبير جداً، ولا يصح كعقل علمي منهجي ان يخرج من عالم أو مفكر! لماذا يقر العالم بوجود خالق للحاسوب، وينكر أن هناك خالك للكون وللإنسان؟! ما هذه المفارقة العجيبة؟! بالنسبة لنظرية تعدد الأكوان، فتجربة شرودينجر الملهمة لهيو والتي شرحناها سابقاً فهي ضعيفة، وليس لها وزن

بين العلماء والمفكّرين، لأن هناك احتمالات وجود أكوان عديدة جداً على مستوى الشخص والرد الواحد أيضاً، وهذا يقودنا لسؤال: "كيف ومتى تكوّنت هذه الأكون كلّها على مستوى الشّخص الواحد؟! أم أنّها موجودة أزليّاً؟! وبهذا فإنّها وقعت في لغط كبير، وهو أنّه أثبت علميّا أنّ هناك إنفجار عظيم قد حدث! ما يعني أنّ الكون له بداية.. وهنا نجد النّظريّة قد سقطت وأثبت خطأها، فجائت بعد ذلك نظريّة الأوتار "String Theory" لكي تنقذ النّظريّة، وأصبحت أحد الأقدام التي تقف عليها نظريّة الأكوان المتعدّدة! أما بالنسبة لنظرية الأوتار، فقد افترضت وجود عوالم أخرى لا نستطيع أن نراها، والعلة أنّنا نعيش في عالم له ثلاثة أبعاد، والعلماء افترضوا وجود ستة أبعاد أخرى لكي نرى هذه العوالم والأكوان المتعدّدة، وبهذا يكون الأمر مستحيل! ولن نرى هذه العوالم أبدا طوال حياتنا! وبالتالي فإنّ النّظريّة عادت للوهن، وأصبحت ضعيفة مرّة أخرى، فجائت نظريّة كون على شكل فقاعات "Bubble Universe" لكي تنقذ النّظريّة مرّة ثانية، وأصبحت أحد الأقدام التي تقف عليها نظريّة الأكوان المتعدّدة! أما نظرية "الكون الفقاعي"، فقد أعطى صاحبها "براين راندولف غرين" مثالاً لفهم نظريّته، فلو افترضنا وجود حفرة في صحراء، وجائت طائرةه وقذفت كرة في الصّحراء التي توجد فيها الحفرة، ما هي احتمالات سقوط هذه الكرة في الحفرة؟ الاحتمال "صفر"، بينما لو رمت الطّائرة ملايين الكرات في الصّحراء التي توجد فيها هذه الحفرة، ما هي احتمالات سقوط احدى هذه الكرات في الحفرة؟ احتمال كبير جدّا أن تسقط واحدة منها في قلب الحفرة، وفي حال سقوطها في الحفرة، ولو افترضنا وجود ماء في هذه الحفرة، فان الفطريّات ستنمو على هذه الكرة -عالم الكرة- بسبب وجود الماء وتوفّر المناخ المناسب لتكوّن هذه الفطريّات ونموّها وظهورها -وجود مناخ مناسب بالصّدفة هو من ساعد الفطريّات على الظّهور- وستظن أنّها الكرة -العالم الذي تعيش عليه- هو الوحيد الموجود في الكون، فكيف لو ظهرت هذه الفطريات وخرجت من الحفرة؟ فإنّها ستنصدم وترى ملايين الكرات -العوالم- من حولها! يقصد "براين راندولف غرين" أن الفطريّات هي "النوع الإنساني"، والكرة هي "العالم الذي يعيش به الإنسان"، وهناك سؤالي: "من أين جائت الطّائرة؟ وكيف لطائرة أن تقود نفسها بنفسها؟ ومن الذي بعث الطّائرة لكي تسقط هذه الكرات -الأكوان- في قلب الحفرة؟ ومن الذي أعطى هذه الطّائرات الكرات -الأكوان- من الأساس؟ ولماذا هذه الصّحراء بالذات؟ ومن أين جاء الماء؟ وكيف جائت الحياة -الفطريّات- من اللّاحياة -الصّحراء- أصلا؟"، وهنا فإنّ النّظريّة عادت للوهن مرّة ثالثة، لأنّ العلماء لا زالوا ينصدمون بالسّؤال الأوّل: "من هو المسبّب الأوّل؟"، وأيضا حسب النّظرية فان الكون عشوائي والانسان وُجد عليه بالصّدفة! وهذا يدعم نظريّة التطور، بأن الانسان وجد من سلف مشترك للقرود، وكانت الصدفة هي العمود التي ترتكز عليه النظرية، ولكن العالم الرياضياتي والفيزيائي "السير روجر بنروز Roger Penrose" قام بحساب امكانية وجود الكون بالصّدفة وعشوائيّاً، فكانت النتّيجة

محبطة جداً بالنّسبه له ولغيره، وهي " ١ على ١٠ اس ١٠ اس ١٢٣ "، يعني يستحيل وجوده بالصّدفة!).

الخبيرة: "إذا كانت احتمالات وجود الكون وما فيه بالصدفة تساوي "صفر"، ما هي الإحتمالات إذن؟! ستقول لي "الله" أكيد!!".

العبد الفقير لله: (لست أنا من سيقول "أنا مؤمن بذلك علمياً وفلسفياً ودينياً أن الله -سبحانه- هو الخالق"، لكن سأجيبك من فم أعتى الملحدين، وهو عالم سلوك الحيوان والأحيائي التطوري البريطاني "ريتشارد دوكنز Richard Dawkins" في احدى المقابلات التي أجراها).

الخبيرة والأحرف تذوب في جوف فمها: "مستحيل!! ريتشارد دوكنز!؟ لا يمكن أن أصدق أن أشرس ملحد يقول ذلك؟!".

العبد الفقير لله: (سنرى.. نظرية تعدد الأكوان تفترض وجود عدد لا نهائي من الأكوان، ولكل كون قيم وثوابت فيزيائيّة خاصّة به، وكوننا صادف وجود الحياة فيه صدفة بخلاف الأكوان الأخرى! يقول ريتشارد دوكنز صاحب كتاب " صانع الساعات الأعمى The Blind Watchmaker " والذي نثره عام ١٩٨٦م، والذي تحدث فيه على أن التكاثر و التحوّر والإختيار هي عمليات غير موجهة من أي مُصمّم -لا يوجد مصمّم لتوجيه أي عمليّات- وفي كتابه الثّاني "وهم الإله The God Delusion " والذي نشره عام ٢٠٠٦م عن أن فكرة الخالق الخارق لا وجود لها، و أن الإيمان الديني وهم! وفي كتابه الثالث "الجين الأناني The Selfish Gen الذي صدر عام ١٩٧٦م، أن كل الحياة تتطوّر عبر البقاء التفاضلي للكيانات المكررة، لكن في مقابلة أجراها مع نظيره الفيزيائي الشهير "Weinberg's claims" أن وجود كون منظّم ودقيق لا يخرج عن ثلاثة أسباب وإحتمالات: الأول "وجود خالق" وعقّب خلفها مباشرة "أن هذا مستبعد"، والثاني "نظريّة الأكوان المتعدّدة" وعقّب بعدها "ونحن موجودين في واحد منها"، والثالث وهو "أننا لم نفهم علم الفيزياء بعد، ولم ننتهي منه، ولازال هناك وقت طويل لكي نفهم الفيزياء"، وقام بنسب هذا الاحتمال ظلماً دون مهنية، ودون اعتبار للعلم العملاق Weinberg's claims والذي بدوره أعرب عن استيائه وكرهه لما فعله ريتشارد دوكنز! وأكمل ريتشارد دوكنز يقول: "نحن لم نفهم لماذا هذه الثّوابت والاشياء الدقيقة موجودة هكذا ؟ ويقول سيأتي يوما لكي تفسّر نظريّة كل شيء " The Theory of Everything" لأبرز علماء الفيزياء النظرية وعلم الكون على مستوى العالم "ستيفن هوكينج Stephen William Hawking" لتفسير هذه الثّوابت وتفسير كل شيء؟! فردّ بدوره البروفيسور والعالم Weinberg's claims على Richard Dawkins بأنّهم في ورطة، وأنّهم لن يستطيعوا تفسير العالم، وقال بأنّ هناك مجموعة من القوانين الطّبيعيّة لن تستطيعوا

فهمها وتفسيرها وتحويلها الى قوانين رياضيّة، حيث أكّد: "يوجد لدينا قوانين رياضيّة، لكنّها لا تستطيع تفسير العالم كما هو الآن وكما نعرفه!"، وأضاف: "وسيبقى هذا السّؤال: لماذا القوانين الطّبيعيّة كما هي الآن وليس بشكل مختلف آخر؟، وتابع: "إن الثوابت والقوانين الطّبيعيّة مناسبة للحياة، وهي حقيقة واضحة ومشاهدة، وبهذا يكون الاحتمال الثالث قد تم تدميره!يبقى الاحتمال الثاني، وهي "نظرية الاكوان المتعددة"، والإحتمال الأول وهو "وجود خالق عظيم"، بالنّسبة للاحتمال الثاني وهي "نظريّة الاكوان المتعدّده" يقول Weinberg's claims ل Richard Dawkins بأنّه لا توجد أي نظريّة في الوقت الحالي تفسّر وجود الثوابت والقوانين الطبيعية لتخمينها ووضعها في قوانين رياضيّة لتفسير وجود الكون بهذه الدقّه! ويضيف عن "نظريّة الاكوان المتعدّدة" بأنّها مجرّد تخمين فقط لا غير، وأن احتمال ونسبة وجود كوننا ووجود الحياة فيه بالصّدفة بين أكوان لا نهائيّة هو ١٠ مرفوعة للقوّة ٥٦، "يعني واحد وأمامه ٥٦ صفر!!"، يعني يستحيل أن يكون كوننا مثل رمل في صحراء بين أكوان أخرى لا متناهية؟! وبهذا يكون الاحتمال الثّاني قد تم تدميره! يبقى الإحتمال الأوّل وهو "وجود خالق عظيم وقدير" وهو الإله، وهذه هي الحقيقة الأولى والمطلقة والأزليّة والأبديّة والتي يحاول معظم العلماء والفلاسفة الهرب منها وعدم التطرق اليها! إنتهى المناظرة بينهما).

الخبيرة وقد تحملق وجهها: "لا أعلم ماذا أقول؟! ولكني سأراجع هذه المقابلة العجيبة، وسأتأكد من قولك".

العبد الفقير لله: (كما ان كل العلوم تختزل الى الرياضيات "الأحياء ترد الى الكيمياء، والكيمياء ترد الى الفيزياء والفيزياء ترد الى الرياضيات"، فإن كل موجود يرد الى الواجد! والواجد والخالق هو "الله تبارك وتعالى"، وبدون الله -سبحانه- نسقط في العدميّة "نزعة العدميّة"، العدميّون الملحدون ملتصقون مع مبادئهم لأساس ورؤية الجذر الكوني بأنّه لا معنى لهذه الحياة ولا لأي شيء ، وبأنّ العلم يفسّر كل شيء ولا مكان للإله بيننا! واتضح أن العلم غائب عن أشياء كثيرة جدا، ولا زال الله عز وجل هو التفسير لها ولكل شيء، لا يوجد أي عالم حقيقي او فيلسوف او مفكّر او باحث ينكر ان هناك نظام للعالم وقوانين حاكمة على هذا العالم من قبل خالق هذا العالم، الله تعالى وضع قوانين تحكم هذا العالم، جعل الماء كل شيء حي! قانون الهي.. كما ان هناك مرسل وهناك مستقبل، وهناك علاقة ورسالة بين المستوى الأعلى وبين المستوى الأدنى، ولا يمكن أن يختزل المستوى الأعلى بالأدنى، كما أنه لا يمكن اشتقاق المستوى الأعلى من المستوى الأدنى، فالبناء لا يستطيع أن يبني بيتا دون توفر الطوب الذي لا يصنع نفسه بنفسه، ولا يبني نفسه بنفسه، وكما أن هناك خطّة، لذلك يحتاج هذا الطوب المادي الى من يمتلك الوعي، والذي هو بمستوى اعلى من الطوب، وهو البنّاء، والبناء بحاجة الى مستوى أعلى منه وعياً، ألا وهو المهندس المعماري، وبدون اشراف المستوى الأعلى -وهو

المهندس المعماري- الذي هو أيضاً محكوم الى مستوى أعلى منه، ويجب ان يكون مشرف عليه، الا وهي الادارة، وهكذا حتى نصل الى سقف نقف عنده، وهو الله سبحانه وتعالى، لذلك من أسمائه "الأوّل"، ولو تحدثنا عن عملية بناء البروتينات في الخلية، سنجد أن هناك مرسل وهناك مستقبل، كيف تهيّأ المستقبل ان يفهم هذه الرّسالة؟ فضلا عن الطّريقة التي بنيت بها الرّسالة؟ لا نجد أي تفسير سوى أن المسؤول عن هذا هو وعي خارجي، وهو الله تعالى، قال تعالى: "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ"، وقال سبحانه: "الذي أحسن كل شيء وبدأ خلق الإنسان من طين"، وقال عز وجل: "قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ").

في نهاية النقاش، رحت أدور بعيني نحو وجوه الجميع التي كانت تتفحّصني وتتأملني، ثم قلت لهم: (سلّم العقل والمنطق يلوّح بأن فكرة "الله" هي الوحيدة التي تفسّر سرّ الوجود، والقوانين الطبيعية والفيزيائية والكونية من حيث هي لا تتعارض مع فكرة وجود الله تعالى بأنّه خالق الوجود، ومقنّن القوانين الحاكمة عليه، وهذا يفسر سبب ظهور المفكرين والعلماء والفلاسفة، لأن هناك تناغم بين نظام الكون ونظام العقل الإنساني! لذلك كن رياضياً جيداً، أو بيلوجياً جيداً، أو أنثروبولوجياً جيّداً وستفهم الكون! آلبرت آينشتاين كان يقول: "أرى معجزة أن الكون موجود بطريقة بحيث يكون محكوم بقوانين محكمة، والعقل الإنساني قادر على أن يتعاطى مع هذه القوانين! وهذا يؤكد أن هناك تناغم بين نظام الكون ونظام العقل الإنساني!"، ثم نشر مقولته المشهورة: "العلم بلا دين اعرج، والدين بلا علم اعمى!"، ولقد كتب المؤلّه "ريتشارد سوين" يقول: "لا أبحث أنا عن فرضية اله الفجوات، إن الله لا يوجد في سياق تعارض مع التفسيرات العلميّة، الله هو نهاية وسبب كل تفسير ممكن!"، ولقد قال الله تعالى في كتابنا الكريم: "وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ"، ثم أردف سوين يقول: "أريد اله لا يفسّر لي الكون فقط، وإنّما يفسّر لي لما كان التفسير العلمي ممكناً!"، وعالم الفيزياء النظرية الشهير في ميكانيكا الكم والمفكر الديني البريطاني "جون كارلتون بولكينغهورن John Polkinghorne" كان يقول: "لا يمكن للفيزياء أن تفسّر انتظام الكون!"، يقصد أن الفيزياء تشرح لك كيف تفعل القوانين ويشتغل العالم بها، لكنها لا يمكن أن تفسر لك لما كان الكون مشتغلا بقوانين! لذلك لا يمكن اختزال هذا الأمر في مستوى الفيزياء، لذلك سيضطر الانسان البسيط والعالم الكبير الى الايمان بأن هناك وعي خارجي وعقل مطلق من الذكاء والحكمة خارج الطبيعة، وهو الله تعالى الذي خلق الكون بنظام دقيق، وابدعه، وقننه، وخلق الإنسان وسوّى عقله، وهذا العقل الإنساني قادر على ان يتعاطى مع هذه القوانين للوصول الى المنتهى "الله سبحانه" رغماً عنّا، لذلك الله عز وجل لا يستدل عليه، وإّما يستدلّ به، والله لا يستشهد عليه، وإنّما هو الشّهيد على

كل شيء، وأقوى دليل علمي على أن الله سبحانه هو واحد أحد، هو أن الكون وما فيه من ظواهر متّسق وله قانون واحد يحكمه، ولو كان هناك أكثر من اله، لكان لزاماً لكل ظاهرة قانونين على الأقل يحكمهما؟! وبهذا لن يكون هناك نظام في الكون، وسيفقد اتساقيّته بسبب ذلك، وجود نظام وقانون في الكون، هو أعظم دليل على أن حاكم هذا الكون وخالقه هو واحد أحد، وهو الله تعالى، قال تعالى: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ"، الانسان الواعي في نهاية المآل لابد أن ينتهي الى هذا السّقف المطلق -الله تعالى- لكي يكون لكل شيء معنى! الله سبحانه هو سبب كل تفسير، بل هو التفسير الوحيد لإمكانيّة أن العقل قادر على التفسير، هو التفسير لحقيقة أن الكون قابل لأن يعقل وأن يفسّر وأن يفهم، في النّهايه انت مردّك الى الله تعالى، قال تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(53) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ محيط).

ابتسمت اخصائية نفسية وسط هذه الحفلة العلمية، ثم ارتفع صوتها: (لماذا لا نغير الموضوع.. ما هو تعريفك يا مفكرنا للصداقة؟ ولماذا نشرت عنك احدى المواقع الاخبارية قولك: "لا يوجد لدي أصدقاء!"، لماذا لا يوجد لديك أصدقاء؟! هل عشت في بطن صفحات مؤلمة جعلتك تعتزل الصحبة والصداقة؟ أنا وبصراحة اتخذت جانباً منك، وآلمني خاطري بسبب قولك هذا! لماذا قلت ذلك؟ يعني.. هل يمكنني أن أفهم لماذا أنا ونحن لسنا أصدقاء لك؟).

العبد الفقير لله: (لأن الصداقة ليست من الصفات البيولوجية، وهي مفهوم بعيد جدا عن البقائية، كما أن الصداقة لا يُنظر من خلالها الى ما في بطن الانسان، لكن يُنظر من خلالها الى ما في عقله، لذلك الصداقة خِلاف وليست وفاق ، وهي انعزالية وليست وئامية، لكن الصداقة حقيقةً هي مفهوم يُضفي على الإنسانية مفهومها ليصبح لديها معنى، ولذلك أعتقد شخصياً أن الصداقة مفهوم يجعل للعلائقية معنى.. الامام الشافعي كتب مرة يقول:

أُحِبُّ مِنَ الإِخْوَانِ كُلَّ مُوَاتِي .. وَكُلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثَرَاتِي

يُوَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ .. وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِي

فَمَنْ لِي بِهَذَا لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُهُ .. فَقَاسَمْتُهُ مَا لِي مِنَ الحَسَنَاتِ

تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقَلَّهُمْ .. عَلَى كَثْرَةِ الإِخْوَانِ أَهْلُ ثِقَاتِ

سيّدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- تخلّى عنه أقاربه وأهل بلده وقالوا عنه ساحر ومجنون وشاعر! سيّدنا يوسف -عليه السلام- تخلّى عنه إخوته، وأرادوا قتله، ثمّ ألقوه في البئر، وجاؤوا على قميصه بدم كذب، وقالوا أن الذئب أكله! سيّدنا لوط -عليه السلام- تخلّت عنه رفيقته

وصاحبته وزوجته، سيّدنا نوح -عليه السلام- تخلّى عنه أحبّ النّاس إليه وهو "إبنه"، فلذة كبده، ونادى عليه نوح وكان في معزل، قال تعالى: "وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ"، فرد عليه إبنه: "قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِ"، فقال له نوح: " قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ "، ثم راح سيّدنا نوح يستعطف الله سبحانه ويناديه: "وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ"، فردّ عليه الله تعالى: "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ"، العبرة من هذه القصص أنّ الله سبحانه يريد أن يقول لنا: "أيها الناس.. لا تكونوا جهلاء بحقيقة الأهليّة، وحقيقة القرابة، وحقيقة الصّحبة، وحقيقة الأسرة، وحقيقة الحب، وحقيقة الصداقة، فحقيقة كل العلائقيّة على جميع أصعدتها هي القرب من الله تعالى، وإذا لم تكن هذه العلاقات وجهتها الى الله تعالى، فلا معنى لي من صحبتها وصداقتها!!).

هززت رأسي بعدها وكانت علامات الحزن تتجلى في عباراتي: (لكن لا أخفيكم إن قلت لكم أحبتي: "حتى الصداقة أحيانا نصيب").

تسلل الكاتب الذي استدعاني لتلطيف الأجواء، وعلى سبيل الفكاهة راحت كلماته تتدفق: "يا مفكرنا العزيز.. سافرت بنا الى الاكوان المتعددة، وعدت بنا الى الانفجار العظيم، ونكست راية التطور، وعزفت على نظرية الأوتار، وقفزت بنا الى سهوب المفكرين، وسباسب العلماء، وفياني الفلاسفة، ولم تخبرنا إلى الآن لماذا أزلت لحيتك؟!"

كانت جمرات الترقب في تلافيف رؤوس الجميع بانتظار الجواب، ولكني طلبت الإذن للذهاب الى بيت الخلاء، في طريقي دخلت إلى دورة المياه، وجعلت أنظر في مرآة الحمام، وأعيني معلقة في ذقني الجرداء وشاردة فيها، وسألتني: (إلى متى ستظل هذه الألسن تحرث في وجنتي القاحلة؟!"، قضيت حاجتي وخرجت وأنا أنظر الى وجهي الذي أصبح ساحة للقيل والقال، ووجنتي التي أضحت مساحة للمنال، حتى قرّرت أن أغادر محيطاً فيه هدر للأعصاب حول لحية لا يعلمون لماذا أعدمتها؟!)

أثناء عودتي إلى المنزل، سألت عن صغيري "كريم"، فناولتني اياه زوجتي، فحملته بين ذراعي، وجعلت أنظر في وجهه، وأقول له: (أفكر يا حبيبي "كريم" في هذا المسلخ الوجودي، رأيت مالم يره أي كائن من النوع الإنساني على مائدته، كانت الصحون فوقه تعج بالمعذبين والمألومين والمضطهدين والمقهورين والمظلومين الذين أعدموا نفسياً ومعنوياً وفكرياً جرّاء إزالة بضعة شعيرات منثورة على الذقن داخل أورقة هذا المسلخ، زبانية تربط أفمام الناس، وتدفن أفكارهم، وتسعى بكل حيلة ووسيلة الى انتزاع ولو كلمة واحدة مني تؤكد هويتي أو

انتمائي السياسي الحقيقي، أو اسقاطي في شرك الاعتراف، قيل عني كل المتناقضات؛ فقد قيل عني شيعي، وسُنِّي، ومتستَّر بالتصوف، وداعية متلون، وصاحب دعوة سياسية، وفتح، وحماس، وجبهة، يطرحونني على بعضهم، كل فرقة ترميني على الأخرى، وكل طائفة تعلن انزياحها عني، وكل حزب يتنصل مني، وآخرين يتبنونني، قيل عني كل الخرافات والأساطير يا بني، لكن في الحقيقة.. كان كل ذنبي عندما أزلت لحيتي، هو كي أقبّلك..)

كان كل ذنبي عندما أزلت لحيتي، هو كي أقبل ابني ومولودي الصغير "كريم"، لأنني كلما كنت أطبع قبلة على وجنتيه، كان يتحسّس من شعر لحيتي التي كانت تنغرس في وجنتيه كالدبابيس، فتظهر الحبوب وتنتشر على وجهه، وأحيانا كان يبكي بسبب شعر لحيتي.. لذلك أزلتها !!

أعتذر للجميع على إزالة شعر لحيتي..

المفكر الإسلامي

محمد نبيل كبها

الفهرس

إهداء ٥
المقدمة ٦
قبل أن أبدأ ٧
لماذا أزلت لحيتي ٨
الفهرس ٨٣